

مبارك
وسلك

ستّ مجموعات
شعرية

الجزء الثاني، والأخير، ويتضمّن:

* رجل يبتسم للعصافير

- القسم الأول: أحقن عروق الكراجه بالنيكوتين
﴿مثلما سيرة﴾

- القسم الثاني: تربية عاصفة

* عيونُ كالما سافرتُ

2021

منشورات حبر

سٲٲ مجموعات شِعْرِيَّة:

- الجزء الثاني والأخير - ويتضمَّن:

* رجلٌ يتسم للعصافير
كصبعة ثانية - رقمية

* عيونُ طالما سافرتُ
كصبعة ثانية - رقمية

منشورات جبر إصدار 2021

﴿جميع الحقوق محفوظة﴾

(الطبعة الأولى لـ "رَجُلٌ يتسم للعصافير" : منشورات الجمل، 2011)

(الطبعة الأولى لـ "عيون طالما سافرتُ" : منشورات بيت الشُّعر

بالمغرب، 2017)

I

رجل يتسم للعصافير

* قسم أول :

- أحقن عروق الكراجه بالنيكوتين

﴿ مثلما سيرة ﴾

* قسم ثانٍ :

- تربية عاصفة

إهداء :

إلى

بشـر

رجل بيتسم للعصافير

* القسم الأول :

- أحقن عروق الكرامة بالنيكوتين

﴿مثلما سيرة﴾

جَدَّ -1-

في الحديقة المهملة، تَرْفُو الجَدَّة جواربَ وذكريات. الحفيد يرنو إليها. أمَّا
الشَّمس فتوشك على الغروب. يتذكَّر الطِّفل جدَّه الذي جُنَّ على ظهر ناقه،
فتمتلئ عظامه بالرَّمْل وبالْحُدَاء.

الطِّفل قضى ساعاتِ الصِّباح متأمِّلاً ما تبقى من بيتٍ قديم كان للجدِّ الذي
شَرع في هَدْمِهِ ذاتَ فَجْرٍ، عازماً أن يُقيم مكانه خيمة كبيرة من إسمنت. لكن،
بعد أن خرَّب مُعظمه، حلَّت به لعنةُ السَّراب، فمضى لَيْتِيَةً في الصَّحراء.

الطِّفل قضى ما بعد الظهر حالماً بأنَّ الجدران التي دُمِّرَتْ والخزانة التي
كانت تُعابثه بتضييق خياشيمها، والأكواريوم والأرائك المحشوة بالقطن
والبروق وبغمغات الجنِّيات،

كلُّها ستعود في ذلك اليوم،

بل فكَّر أن الجدَّ نفسه قد يَؤوب، تاركاً جنونه وناقته والبيد

التي يبحثُ فيها عن واحاتِ طفولته.

لكنَّ شيئاً من ذلك لم يحدث،

بل هاهي لَكَماتُ الرِّعد تتوالى عنيفةً وتُهشم أسنانَ الغسق،

وها الحديقة المهملة قد اكتظت جنباؤها

بالخوف وبالشَّظايا.

هجرة

نمشي ونمشي

نمشي بخطى بيضاء

لا توقظ شجرة

لا تقض مضجع بئر

نستريح بعض الوقت

جنب نهر صغير شجاع

لا يُجَنُّ إذ يصيرُ ضحلَّ المياه

لا يرمي أحداً منا بحجر

نعرف أن قمر هذه الأيام سيكون

من ثلج

فالشتاء قد جاءنا

معصوبَ العينين

نتَّجه إلى حيث تُقرفص حمامة

في ريح مدينة مهجورة

أو، رُبَّما، إلى حيِّ خلفي في مدينة

نخر اليأس جدرانها
نمضي تحت سيول الماء
مخلصين للمطر
لهواء مُسِنّ
تاركين للعواصف أن تهبّ
من القفص الصدري لأمّ
للبرق أن ينداح من عيني
رضيعها
نغذُّ السَّيرَ أحراراً
وإذ يتخفى القمر في كبد طائر
يُدوّن الفلكيون من بيننا
مذكّرات السّمك الرّامح
الذي يتدبّر، دوماً، أمر
إنارة طريقنا
علينا، فحسب، ألا نزعج الأنبياء
النّحاف المنسيّين

في هذه الجَنَّةِ الخَرِبةِ
المحمولة على أنف الجَبَلِ
أن نُحاذِرَ التَّوقُّفَ على مشارف الغابة
التي تحلَّقُ فيها العَصافير
على ظهورها.

دموع القدّاحة

أمسحُ الطّاولَة بالإسفنجَة-العين

أقول لنفسي: لا تستمرّ

وإلا تساقطت أهدائك

وبدا لك الناس القصار

أبواباً مُتّعرة

وحبلُ الغسيل

أنقليساً مديداً، يُعدّبه

صيّاد مخبول

تبعثُ إليّ جارتِي ضحكةً مُشفّرة

كضحكات الجواسيس

أفكّر: لا شكّ أنّ عينها

تلتمع بدمعة

ومن ثقب في جيبِي

تساقط على الفور دموعُ القدّاحة

وتنّارُ التّبغ

أضعتُ أسناني كلّها
في حرب أفيون سرّية
وكثيراً ما تركتُ آلام شفّتي
على نهدي الجارة
كنتُ، أيضاً، أحقنُ عروق الدّراجة
بالنيكوتين
فتنطلق بي على الجسر
الذي يصل رنتي بالسعال الليلي
هذا التّبغ له طعم البارود
هذه القدّاحة حادّة الطّباع
هذه الجارة تقف الآن تحت شمس
غيرٍ حقيقية
(إنّها مجرد حبة خردل!)
من كأس النّبذ التي أفرّغت
زحفتُ نمال كثيرة مترنّحة
نحو جزيرة صغيرة منسية

في ظفر إبهامي
سأعتمد، في البحث عن اسمها
على غوغل
جارتني مختصة في تربية أظافر
الروبوتات
في السير الطويل على حافة الجرح
ثم السقوط على كتف الصرخة
أنا أشتغل على الكمبيوتر
أعيدُ تكوينَ رنينِ عظام الزواحف
باروكّة السيكلوب
والعطسة الأخيرة
لابن الرومي
تهبّ ريحٌ في سلالها المزامير
وتنتشر زرقّة الموسيقى
على فوطة
كنتُ كشطتُ بها الظّمي

عن قديمي

أثناء نزهتي، حافياً،

على ضفة نهر

تهبّ ريح، تنتشر زرقاة الموسيقى

فيسمع، من جديد، في أرجاء

الغرفة، عطاش ابن الرومي!

وإذ يزقو طائر من دخان

في رنتي

أخرج، بدوري

لأستردّ حذائي!

في المرّة الأخيرة

لم يُسعفني الحظّ

كان دكان الإسكافي مُغلّقاً

أمامه صاحبه المَخمور

يرقص و يغنيّ

ويتقيّ المسامير.

مُنذ دهر

منذ دهر وصنّارتي في الماء

ولمّ أصد سوى السّام.

لا أرى غير قوس قزح ينزل

ويأبر ذهبية

يُطرز حواشي الأمواج

ولا أسمع سوى أنفي الذي

ينزّ كحلة

كلما أفرغت زقي.

ثمّ خرج نديمي المساء من البحر

وأقبل نحوي

حاملاً طيّ أجفانه

سمكاً كثيراً وفي كفيه

محارّ طفولتي!

على شاطئ...

نَمشي على شاطئ مُضاء بالتماعاتِ أرقنا
والأسماكُ التي لفظها البحر
تركّت فيه أناشيدها الحزينة ومضتْ

الأسماكُ التي لفظها البحر
ولجأتْ إلى الآبار
كثيراً ما تخرجُ للنزهة ليلاً
ولا نراها

مروحة

إِبْقَ فِي بَيْتِكَ فَلَاجِدِيدِ فِي الْخَارِجِ
أَتْرَاكَ تَرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ لِتَرَى الْمَجْنُونِ
يَتَأَمَّلُ فِي غَيْمَةٍ - مِرَاةٍ
نِصْفَ وَجْهِهِ الْأَثِيرِ لَدَيْهِ
أَوْ لِتَرْمِي بِحَجَرِ
الْخُذْرُوفِ الْخَرِيفِ
الَّذِي لَا يَكْفُ عَنِ الدَّوْرَانِ
أَمْ أَنْكَ تَرِيدُ أَنْ تَلْتَقِطَ صُورَةً أُخِيرَةً
لِمِرْوَحَتِكَ الْمَسْكِينَةِ
الَّتِي تَفَكَّكَتْ عِظَامُهَا
بَعْدَ أَنْ لَفْظَتْهَا بِلَا رَأْفَةٍ
أَيُّهَا الْقَاسِي
يَا حَفَّارَ قُبُورِ الْقَنَانِيِّ
هَكَذَا تَحَدَّثُ إِلَيَّ طَيْفُ أَوْفِيلِيَا

وأنا أمضي نحو الباب ومن بعيد

يصلني هديل حمائم

من نبيذ!

مقادير مجهولة

مع الفجر جاءت من مغاورٍ بالشاطيءِ

حِسانٌ مُشاكسات

وبأنغام النّايات

شرعنَ في تهيجِ أشجارِ

الشارع الكبير

في الصّباح تَوَزَّعَ في جنبات المدينة

أطفالٌ من مرجان

ليحرسوا باراتِ يومّها عميانٌ

وخيولهم

بعد الظهيرة كان من بيننا من أغفى

في سينما مياليس فيما كانت

سارة مايلز

في دَوْرِ ابنة رايِنُ تتلقّى الشّتائم

مذعورةً

بُعَيْدَ الغروب ظهرت أشباحُ

درّاجاتنا القديمة

وبدافع الحنين اعترضتْ سُبُلنا

في الليل ربّما تُوجِزُ المدينة

هل حقّاً ستُصبح

في حَجم قبضة اليد

بعد أن عشنا فيها طويلاً

كمقاديرَ مجهولة

في مُعادلات الرّيح

والليالي

علي أن أطمئن

(نص سرديّ-شاعريّ)

ذهبتُ إلى المستشفى لرؤية عامر، صديقي الطبيب.

وهناك عرضوا عليّ ميّتا وجهه كوكب صغير.

قالوا إنّها جُتّة خالي. كيف لي أن أعرف أنّهم لا يكذبون؟ سأعودُ إلى

زوجته!

سألتها إن سبق لوجه زوجها أن كان في هيئة كوكب صغير. لكنّها لم تُجب،

فقد كانت تُدرّبُ خيطاً على الاقتراب تلقائياً من إبرة أوقفنها على أنفها. لقد

اشتغلت لفترة ما في سيرك!

عدتُ إليها بعد سنة فقالت خالك مدفون منذ أعوام طوال، وعلى خريطة

مقبرة الرّحمة هاته، وضعتُ علامة حمراء على قبره.

لكن، إذا كان ميّتا منذ أعوام، فلمَ لم تُخبريني بذلك قبل الآن؟

لقد كنتُ دائماً إما في بار أو تنتقل من طابور إلى طابور جديد لتقف أمام

السّينما أو السّوبرماركت أو حانوت بائع الحلزون... فلم أجد مناسبة

لإخبارك بالأمر.

في الواقع، بدا لي كلامها منطقياً.

وعلى أي حال، فحين يموت شخص ما، أيكون ثمة فرق حقيقي بين أن يُدفن أو يصبح وجهه في هيئة كوكب صغير؟

بقيت مسألة بسيطة، سأسأل عنها جاري النحيف: كيف ستستطيع الملائكة، في الآخرة، أن تتعرّف على شخص وجهه في هيئة كوكب صغير لتأخذه إلى الجنة.

مسألة الوجوه هاته مُحيرة. فجاري النحيف، وهو نحوّي، وفقيه، وعالم بخبايا كرة القدم... كان أيضاً مُساعدَ حفّار قبور. وذات ليلة، هاجمته مومياء زوجته التي يحتفظ بها أسفل السرير، فماذا فعل؟

نبش قبراً وأخرج منه وجهاً. تفرّس فيه طويلاً، فماذا رأى؟
الوجه الذي كان له هو أيامَ مراهقته.

وقتها، سارع إلى دفن المومياء، وآلى على نفسه ألا يقترب، بعد، حيّاً، من مقبرة...

يا لي من أهبل! لِمَ أُتعب نفسي بالتّفكير في مثل هذه الأمور، أنا الذي استيقظت يوماً وقد تكاثف جسمي كله في كرويّة أعصاب، فبقيت مجهول الهوية (جزئياً فحسب، لأنّي كنتُ، رغم كلّ شيء، أعرف أنّ تلك الكرويّة هي أنا).

وخرج أفراد الأسرة للبحث عني في البارات والطوابير. وبعد أن يتسوا، وفيما هم يُفكّرون في إعلان الجداد، كنتُ أستعيد، رويداً، حجم إنسان

عصريّ. ورغم أنّي عدتُ إليهم في هيئة تقريبيه (أي أنّها تُذكر من بعيد بما كنتُ عليه في السابق)، فقد قبلوني وسرّوا...

حقّاً، ليس التّعرف على إنسان بالمُعضلة الكبيرة. عليّ أن أطمئنّ.

أمامي شجرة، بجذعها علقتُ أرتال من الحلّازين، وخلفها طابور. سأنضمّ إلى المُصطفيّين. هذا هو قراري.

من نصائح جدّي ومأثور أقواله

- لا تأبئه لهم إذا
وضعوا عظامك تحت المراقبة
أخف الأجراس في الأعشاش
رُصّ أحلامك في الأقداح
دُسّ الكهرباء في الأحجار
فلن يعثروا ضدك
على دليل

- لا تخرج في منتصف ليالي الجليد
إذ المقاهي وحدها تجوس الشوارع
والعسس مُغلّقو الأبواب
ولا تبغ حذاءك القديم
أتركه حتى تعود من سفرك
واسكن فيه

- إذا رأيت الجراد يغزو رئات الرّاقصات
وزكمت الغرّف وعزّ الدواء

إذا رأيتَ مجنوناً يلفّ صرخته على ساعده
وأنتى من طحالب يُضاجعها غريق
فاعلم أنّها حربٌ جديدة
تنهياً في الخفاء

- لا تُسافر أبداً
إذا أضربَ رباينةُ البرق
وسرّعتِ الأرضُ دورانها
لندوّخ النمل
وتمّ استنساخُ الرّيح
فهذه كلّها
من علائم النّحس

- لا تَبِعِ القناني الفارغة
إذا كان ينبعثُ منها الشّخير
واتّبِعْ نصيحةَ أبي حيّان
فلا تنمِ إلا وقُربَ رأسك حجر
أو حَجْران
وإيّاك أن تتركَ أنفاسك الاحتياطية

في مُتناول غَيْرِكَ

- إذا اقتربت منك نملة
ورأيت في عينيها صُفرة
وسمعت صرير مفاصلها
فاعلم أنها لا محالة هالكة
وإذا رأيت الدموع
التي تنهذى على الأعشاب
قد سارعت إلى دخول غيرانها
فاعلم أنها توجّست من خطاك
إيّاك ومشية العسكر

- إذا اندست السجائر في شقّ
حائط

لا تشقّ عليها
لا تجعلها تخرج من مخبئها مرغمةً
إمض لتتجوّل بعض الوقت
وإذا مررت جنب جدول ألعاب
فحاذر أن تطأه بِقدمك

اعلم أنه تسأل من سجن للشفاه
واسأل عن بيت المهندس الذي
اكتشف آبار نبط
في جُمجمته
إنه عمك
الذي أنجبته لي امرأة
من الماضي السَّحيق
تعرفتُ إليها وهي بعدُ
محملةً بموج الشمال
في سنةٍ زحفتُ فيها الكهوف
على المدن
وصارت، رحمها الله، في آخر
أيامها
تسوخُ، شيئاً فشيئاً، في الثلج
المتهاطل من ذاكرتها
إلى أن اختفت كُليَّةً

- إذا كنتَ في سفر

ووجدتَ نفسك على مشارف غابة

وأظهرت لك نبتة قُرّاص
لسانها
فاعلم أنّ المثلثاتِ قاطعةَ الطّريق
تكمُنُ للعابرين خلف الأشجار
تأهّب
أخرج قوسك
إخترِ الأصلبَ من سهامك
وإذا خلّصتِ النَّاسَ من ذلك الخطر
ربحتَ بطاقةَ سفرٍ إلى جزيرة
جميلة وشبقة
تجدها في استقبالك
عاريةً

جَدُّ

على أقدامهم التي مشَّطت شعر الحقول جاؤوا
من كابوس القبيلة كانوا قد نبشوا دموعاً
ليستعملوها في أيّام الجِداد السَّبعة
كانوا من عشيرةٍ يَشترك أبناؤها دوماً
في نفس الأحلام
في الليلة الفاتنة رأوا في المنام
أنهم حلازين
لم يستغربوا الرؤيا
رغم أنّ الفصل لم يكن
شئاً

من مستودع للأموال
تُحفظ فيه جثثٌ إلى أن
يَحضر الأهل لدفنها، سَرَقوا
جُثَّة صديقهم
غطسوها ثلاثاً في بُحَيْرَة

نقلوها في عربة من شارع إلى آخر
وفي الطابق الرابع للملهاة
أجلسوا الصديق على أريكة في البلكون
مؤلين وجهه شطر المسيح
الذي يبدو، من عل، كأنه غير واقعي
وفي الآن نفسه، بيّن المعالم

عينا الصديق موجهتان إلى أسفل
كأنما هو، أيضاً، يتملى بخضرة الماء
بمراى أجساد غضة
لإناثٍ يَحْمُنُ صُدُورَهُنَّ
بِقَلِيلٍ من وَهَجِ الأَصِيلِ

الثلاثة شربوا في صحة الصديق
لم يثْنِهم عن ذلك علمهم أنه ميت
بل إنهم وضعوا أمامه كأساً
وهو لا يدري كم ساعة مرّت على موته
لكنه يدرك أنّ مجالسيه
نثروا على وجهه أحلاماً بيضاء

كانوا قد اشتروها - للمناسبة -
من سوق ليلى

يذكر أنهم ألبسوه ثياباً
القميص جميل حقاً
لقد نسجته بأسنانها عاقر
كانت قد تبنت كوساةً ونحلتين
قبل أن تنيه في الحقول
ملوحة للفراغ
بضفائر تعود إلى أيام
طفولتها

يذكر آخر مرة دخل فيها بيته
وكيف فوجئ إذ لاحظ أن الأبواب
أصبحت من عجيب
وكيف أقلع - أمام عينيه -
الموقدُ بجمراته المشتعلة
ودوم طويلاً في المطبخ الذي
كان، هو، قد زين جدرانه

ببلاطات اقلعها

من قبور

ما كان أحدٌ، بعدُ، ليزورها

لكنه، الآن، لا يستشفّ جنب المسبح

إلا أشكلاً هلامية

فيما جلساؤه يتحدّثون عن خُودِ حسان

يُدغذغ ظهورهنّ النسيم

عن قطراتِ ماء خضراء

تلتمع على أرومة نهد

فكيف لميت أن يُبصر حتى

وإن كانت ثمة عين

تُوشّي جيب قميصه المُطرّز

حتى وإن كان حديث عهد بالموت

وكانت العينُ نجلاء

حتى وإن كان في آخر جلساته

على سطح الأرض

حتى وإن، بين عينيه، كان يخبّر تابوت

ينوء بحمولته
من الأجراس

كيف لميَّت ألا يتخذ بين جلسائه
هيئةً جبلٍ منفيٍّ في جزيرة
ستجيئه عسافير
من أغصانٍ في جُرح
وبمعاولٍ كانت، لسنين،
ذاتَ سطوةٍ في المُستنقعات
تكسُر أحجاره وعظامه

في البرد أغفى الأصدقاء
ويدا الميَّت موضوعتان
على قوس قُزح
انداح، بأناةٍ، من كأسه

لكن، كيف لميَّت
ألا يضجرَ بين الأحياء
والقرقعةُ على أشدها

في نوم جلسائه
والمساء قد ظهرت حدبته
وثمة أطفال أطلّوا من باب موارب
ثم فرّوا خائفين

كانوا قد استيقظوا ثم ناموا
ثم استيقظوا، وأخيراً قرروا أنّهم
استمتعوا برفقته
كما لن يتسنى لأحد أن يفعل
وأنه أن الأوان ليتخلصوا منه
تحت جناح الظلام

أيدفونوه، إذاً، في حديقة،
أيرمونه في البحر؟
لا، بل يُمدّدونه أمام باب
مستودع الأموات
فالبحث عنه، لا شك، جارٍ
هذا ما اقترح أكبرهم
الذي كان قد هياً له شاهدة قبر

سيتركها تحت رأسه

إن مرّ أحدٌ بقبره، سيقراً على تلك الشاهدة:

- هنا ينام نومته الأبدية

البحار الذي قضى ليلته الثانية كميت

ساهرًا، يتملى بأشكال سباحات مشيقات

من الطابق الرابع للملهاة

الذي كان، أيضا، شاعراً

وكتب أبياته الأخيرة

في مدح إبرة بقيت، بإخلاص،

ترفو ثيابه إلى أن ابيضت عيناها

الذي غطس في أعماق بحار

ظهر في أحلام سفن

شارك في تشييد مدن

من مرجان واشتغل

بمهن أخرى.

الذي، في طفولته،

أنقذ أراغن

كانت، من فرط كآبتها، قد ارتمت

في آبار
الذي لم يحضر قط
إعدام شمعة، وجاب قرى بعيدة
على صهوة حصان من
اللوبياء، ثم مات
غريقاً، بعد أن صارع الربو
زمناً، وفي آخر
أيامه، طال قذالته، لعكوفه
زمناً على صنع سروج
من ثلوج، وأصبحت له غنة
من ينفث الكلمات
عبر أنفه الزجاجي،
وشفتان تشتغلان
بالكهرباء

فهرس

الجزء الأول من "رجل يتسم للعصافير"

I - أحقنُ عروق الدّراجة بالنّيكوتين

(مثلما سيرة)

جَدّ -1-	4
هجرة	5
دموع القداحة	8
منذ دهر	12
على شاطئ	13
مروحة	14
مقادير مجهولة	16
عليّ أن أظمنّ	18
من نصائح جدّي ومأثور أقواله	21
جَدّ -2-	26

رجل يتسم للعصافير

القسم الثاني :

تربية عاصفية

ربّما يكون لي حصان

الفتاة التي أحببتُ وأنا في السادسة عشرة
في البداية، لم تُبادلني عواطفي
حزنتُ ثمّ نسيتهُا
لم أعد أترصدُها كلّ أحد أمام بيت أبيها
حيثُ تصنعُ الكعك
تدّرس حياة الجراد
وتُنصت إلى أغاني الحاجّة الحمداويّة
يحلُّ الأحد، فأمضي إلى البار ثمّ إلى
ملعب كرة القدم
لتشجيع الفريق الذي أناصره
إنّه دينامو البرنوصي
أو إلى البار ثمّ رأساً إلى غرفة مريم
التي تبيع لي الهوى بالدّين وفي المُقابل
أطفئ الضّوء قبل أن أستلقي في سريرها
وأتحيل أنّها مارية، الفتاة التي أحببت
وأنا في السادسة عشرة
بعد وقتٍ سئمتُ لعبة التّخيل تلك

وأصبحتُ أضاجعُ مريم
باعتبارها مريم فحسب
التي تروي لي قصة حبِّ والدِها العسكري
وأُمِّها التي قضتْ طفولتها في اليونان
كلَّ يومٍ أحد
تخرج الفتاة التي أحببتُ
وأنا في السادسة عشرة
تمضي لثُحيِّي البحر، ثمَّ لشراء
مجلةٍ متخصصة في وصفات الكعك الجديدة
تتمشَّى على قارعة الطريق تتلقَّى
التَّهنئة من رَجُلٍ يَجوب البلاد بحثاً
عن امرأةٍ أضاعها في مرفأ
يقول الرجل إنه يهنئها
بمناسبة حصولها على البكالوريا
لكنِّي لم أجتز بعدُ الامتحانات، تقول هي
فيخجل الرَّجُل البدين وينصرف
ويقوم بجولة في رواقِ بالسَّوق الأسبوعيِّ
تباغُ فيه النَّايات
بحثاً عن ناي مسحور

يُمكنه أن يعزف لك تلقائياً سيمفونيةً
أو موسيقاً أوبرا
لموتسارت لهايدن لمندلزون
أن يُغنيّ لك أغنية
للحاجة الحمداوية
أمّا مارية فتتنصرف لتذرغ أرجاء
جناح من السوق الأسبوعيّ نفسه
خاصّ بباعة الوجوه القديمة ومساعدتهم
من الكيميائيين العميان
بحثاً عن وجه شهرزاد ووجه حسناء
من تمبوكتو
ووجه غريتا غاربو
في البداية، لم أكن أعرف أنّها
تستعدُّ للتنكر، كنتُ وقتها
في الملعب أصفّر بأقصى جهدي
ضدّ الحكم الذي أعلن عن ركلة جزاء
ضدّ دينامو البرنوصي
لكنّي، هذا الصّباح، غبّ ليلة اعتقدتُ أنّي
قضيتها مع واحدةٍ من أجمل فتيات تمبوكتو

اكتشفتُ أنّ ضجيعتي
لم تكن سوى مارية، الفتاة التي أحببت وأنا
في السادسة عشرة
لقد استعملتُ قناعاً إذنُ
بعد سنة من الآن سنتخاصم
بعد سنة من الآن
ستكثر الدّراجات النّاريّة على
الطّريق التي تؤدّي إلى بركة عوّا
بعد سنة من الآن
ستلوى هضبةٌ من مَغص شديد
والمداخنُ ستنبوّغُ لتحمّلُ آلام الولادة
عن الفتيات الحوامل
بعد سنة بعد اثنتين بعد ثلاث
سأكون في غابة بعيدة
لن أكون قد أصبحتُ فهداً أو ببغاء
سنباباً أو زرافة أو عظاية
لكنّ ستقيم معي امرأة في كوخ في غابة
أو في كوخ على شفا حوض
تعيش فيه تماسيح

صغيرة مسالمة تستطيع حتى أن
تُصافحك بأطراف أذناها
هنالك قرب تمبوكتو
سيكون الطقس حاراً جداً
وربما سيكون لي حصانٌ عظامه
من شرار
حصان هادئ جداً روحه
من مسحوق الذهب
ربما تكون لي دراجة
تستطيع بصير عجلاتها أن تصنع الشراب
الذي يجتذبُ عابرين كثيرين
هكذا سيُمكنني أن أستقبل في كوشي
راقصاتٍ شهيراتٍ
مثل الجوكندة
وأبطالاً في القفز العلوي
مثل حمُورابي
بعد سنة بعد اثنتين بعد ثلاث
فثمة أنفاس باردة تنطلق الآن من عيني
وتُصبح ضبابية كبيرة تجدها في المساء

قد حاصرت القطارات والأرامل
لذا أسارع بالوقوف وربما بعد دقيقة
بعد دقيقتين بعد ثلاث
سأغادر هذه الغرفة
في طريقي إلى بار مارسيل سيردان، ألتقي
زميلتي في العمل، لا أستطيع
تذكر اسمها، لكنّها
تدعوني لمعرض لوحاتها
الذي تقيمه في عرض البحر، بحثاً
عن التميّز
لا أستطيع أن أسبح حتّى هناك، أقول لها
فتُجيب: لقد أصبتُ شَعْرَكَ
برصاصاتي
وفي شارع الإربiane
أجد أعزّ أصدقائي في انتظاري
نمضي لنشرب معاً إنّهُ ذو سُلطة
في البحر إنّهُ
ينشغل الآن بتوجيه سهام البارانونيا إلى
أيائل مُتَخَفِّية خلف عجلات السيّارات

فيما أفكر في مُستقبلي
وما سأفعل وما سيحدثُ لي
بعد سنة بعد سنتين
بعد ثلاث

أُمسك بمقود الركبة

ها أنا جنبك في هذه الغرفة
أداعبك وأمسك بمقود الركبة
أتيقن من أنوار النّهادين
من حُرشة العانة
أدير عَجَلَة الرّدف
أعابثك وأقول
أنتِ الآن درّاجتي الأدميّة
تضحكين طويلاً
وتحدثيني عن درّاجة كانت لك
في الطفولة

سينما

خلال تلك الظهيرة، ونحن في طريقنا إلى سينما مياليس، ما إن سُمعت صفارات الإنذار وطلقات رصاص، ما إن بدأت سيارات إسعاف تناغي جرحاها، حتى أوشكت أُنزومي، اليابانية العجوز، التي كانت تمشي أمامنا، التي كنا نعلم أنّ عظامها مسلات رقيقة، وأنّ لها قدماً داهية تعرف كيف تخضّر وسط الأعشاب — أوشكت أن تتهاوى كزباً، رغم أن أصوات الصفارات وزعيق السيّارات كانت تتناهى إلينا من فيلم على وشك الانتهاء في سينما مياليس.

ما زال أمامنا وقت قبل أن يبدأ الفيلم الذي سنشاهد.

قبالة السينما، بار مياليس، في مدخله

حرّاس

يتطلعون إلى الدّاخلين

بعيون من كحول.

أصطحبك لنشرب كأساً

10 خطاطيف يحلّقن فوق رأسينا. تسألين كيف تعرّفتُ إليهنّ أوّل مرّة؟

تعارفنا ذات صبيحة بعيدة بين شجرتي كافور، كانت الشّمس تُوجّه إلينا نظرات مُحتدّة، والطفلة-السّاحرة، بقُرْبِي، تُخرج من سُرّيها كريّات زجاجية

وترمي بها إليّ.

فَهَلْ أَحَدٌكَ، أيضاً، عن ذلك الجزء من البحر

الذي كنتُ أسبح فيه، بالسرّ، رغم أنهم كانوا قد اتخذوه متحفاً

لعظام الغوّاصين القدامى؟..

والآن، أنهي كأسك حتى لا يفوتنا الفيلم.

ينتهي العرض ونغادر القاعة، فنرى قدامنا أيزومي مُجَدِّداً. لكنّها في هذه
المرّة، تمشي مرحة، خفيفة، متناسية للحظاتِ أخواتها اللاتي تركتهنّ في
قربتها البعيدة، هنالك قرب طوكيو. بل ها هي قد بدأت تغني، بفرنسيّتها
المُتَكسِّرة:

« إذا كنت موسيقياً أيّها الهيكل

العظمي

فأقم عندي

أقم عندي إلى أن

إلى أن

تكتسي باللحم

إذا كنت موسيقياً أيّها الهيكل

العظمي

فلا تبق في المقهى

في هذا البرد...»

وها أنتِ ترددين معها:

«إذا كنت موسيقياً أيها الهيكل

العظمي

أيها الهيكل العظمي...»

ريح قرصانة

في شارع السَّنْجَاب، رجلٌ سُرِقَتْ دَرَّاجَتُهُ يَرْكُضُ وراءَ اللَّصَّةِ التي تُدَوِّسُ
وَتُدَوِّسُ فتمرّ بمحاذاة عمّال البلديّة الذين يخنسون الرّصيف ويكشطون عنه
صغيراً وشيباً كثيراً.

لسوء الحظ، فذلك الرّجل هو أنا.

أقول لنفسي إنّ الفتاة لا شكّ لطيفة وفقيرة. لو أنّها طلبت منّي الدّراجة
لرّبما كُنْتُ أعطيّها إياها وعُدْتُ إلى البيت في الباص أو حتّى على القدمين!
فلأنّس الأمر، إذن!

يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَشْهَدُوا عَلَيَّ أَنِّي لَا أَعْقِدُ الْأُمُورَ... لقد مضى الزمن الذي كُنْتُ
أهربُ فيه من البيت إلى قَمَّةِ بَرَجٍ لَا تَسْتَطِيعُ أُمِّي الْارْتِقَاءَ إِلَيْهَا لِإِقْنَاعِي
بِالْعُودَةِ إِلَى الْبَيْتِ أَوْ بِأَنْ أُرْعَى عَصَافِيرَهَا عَلَى التَّلَّةِ. مِنْ تِلْكَ الْقَمَّةِ، كُنْتُ
غَالِبًا مَا أَتَرَقَّبُ الْكُسُوفَ الَّذِي كَثُرَ الْحَدِيثُ عَنْهُ وَقَتَّهَا، وَأَحْيَانًا أَشْكَلُ قِصَائِدَ
مِنْ دَخَانِ عَيْنِي، حَتَّى إِذَا انْحَنَيْتُ لِأَرَى مَا يَحْدُثُ فِي الْأَسْفَلِ، الْحِظُّهَا هِيَ،
مَارِيَّةٌ، مُعَلِّمَةٌ الْإِسْبِرَانْتُو لِجِرْحَى الْخُبِّ، تَرْفَعُ رَأْسَهَا نَحْوِي وَتُعَنِّي: « أَيُّهَا
الْفَتَى الْمَائِلُ / حَاذِرِ السَّقُوطِ! » لَقَدْ أَحْبَبْتُهَا وَأَنَا فِي السَّادِسَةِ عَشْرَةَ. فِي
الْبَدَايَةِ، أَهْمَلْتُنِي. لَكِنَّ قَلْبَهَا...

وها أنا أمضي تحت رحمة ريح قرصانة تخطف قبّعات العابرين المتعبين.

لقد قرّرتُ العودة على القدمين. فكّرتُ في شُرْبِ بضع كؤوس في بار
مارسيل سيردّان، لكنّ ليس في جيبي ولا درهمٌ واحد. أنا إنسان يثق في
مقدرات الخيال. لذا أغمضُ عينيّ وأقول: يا فمّ ابلعْ خمرتك... وما هي إلا
لحظة سريعة كدمعة وجيزة حتّى شعرت بالانتشاء!..

مارية هي الآن عشيقتي. أسمع قطرات المطر تفرع رأسي وأنا أمشي. لو
بقيتُ لي الدّراجة... أمضي في سبيلي، وعينيّ تُنحي باللائمة على عيني... ثمّة
رجل يسيرُ أمامي، وكلّما التفتت، يتكسّر في عنقه فنجان. يا للصّوت المُطرِد
الباعث على القلق... لكنّ كلّ هذا سينتهي، فبعد دقائق، سأكون في البيت
فأنعى الدّراجة لمارية، ثمّ أمضي إلى النّافذة لأطلّ على الأشجار.

طقش رائق

فيما كان الثلج، بأصابع ناعمة، يُغلق جفون السناجب في الغابة القريبة، كانوا على شاشة التلفاز يتبارون في سباق الألف متر. كان ذلك خلال مساء بديع: ثلج خفيف وفراشات صغيرة تنداح من بين نهديّ العشيقة مارية التي ستخرج لتشكّ المحاقن في خصر كلّ سهل مريض.

وتباريتُ مع أكبر عداء في الغابة. ركضنا باتجاه البحر، ومررنا بمسنيين يعتلون أشجاراً، فكان رأسي هو السباق إلى الشيوخوخة. هكذا اشتعل شيباً. بَعْدَها وجدّتي قرب شجرتي الجميلة، التي بدأت تؤدّي، بحسيّة صريحة، رقصةً فريدة، فيما شكّلت أوراقها أوركسترا سرعان ما بدّدها ألم هبّ رفقة ريح رخيّة. وإذ اقتربتُ منها اندلّع لهيبُ الشيب في أوراقها، هي التي عرفتها يافعة ومؤخراً أسميتها مارية!

أردتُ أن أتخلّص من بضع دمعات كانت دائماً تطلّ من بين أهدابي وتلتمع لتدلّ عليّ الدائنين الذين يترصدونني خلف أعمدة الكهرباء. يا للدموع المصابة بمرض الوشاية. قلتُ أمضي إلى البيت وأجلبُ أرغن الرّجل الذي يرعى، أحياناً، عسافير أمّه على التلّة، وذلك لأعزف لحناً حزيناً. لكنّ قرار منع البكاء في الغابات كان قد عمّم عن طريق التلفزيونات.

وها إنّي أراهم على الشّاشة يتسابقون، فيلهثون ويصّبجون شيوخاً يعتلون

أشجاراً، وها جِرار البرد تتحطّم على رؤوسهم.

لقد قررت الكفّ عن الاهتمام بهم، لذا أطفأت التلفاز وخرجت، يتبعني
أرغُن قَلِق. كيف لي أن أروّح عنه؟.. سأتمشى حتى التّأه، حيثُ تنتظرني
عصافير أمي.

داهمني الصّباح

داهمني الصّباح بحفيف أجنحته فخلّثني مُجدّداً في غابة، لكنّي كُنْتُ في سريري. فكُزْتُ في إيقاظ العشيقة لإخبارها بما حدث البارحة، ثمّ أرجأت الأمر... وفي طريقي إلى المحطة، لاحظتُ كيف يبذر الثلج قلقة في عيون العابرين.

في الباص المتوجّه إلى وسط المدينة، قضيتُ بعض الوقت أتملّى لوحةً مرسومة بتجاعيدٍ من مختلف الحجم والألوان على قفا الجالس أمامي. يا للألوان المتناسقة! يا للجسد الأنثوي الباذخ! يا للشبق الذي يضحُّ به جسدُ المرأة الممدّدة على جنبها عاريةً على السكّة الحديد! ومن شعرها، انداحت فراشاتٌ نحو النافذة المفتوحة جنبي. ثمّ ها أسنان المُستلقية تُعضض شفيتها... ولن أعرف أبداً لم قرّرتِ الانتحار.

أخرجتُ هاتفي المحمول الصّغير، وهتفتُ لمارية. قلْتُ لها إنّ مارية الأخرى، الشجرة، أصيبت البارحة بحروق. قلْتُ أتمنّى ألا يمرّ أيّ قطار قبل أن أنزل من الباص. قلتُ الفراشات تمرّ ملامسةً جبيني وعبر النافذة تغزو المدينة. لكنّ إذا نتجت عن ذلك كوارث فسيتحدّثون عنها في التلفزيونات! وسمِع صوت انكسار ظفرٍ، فأخفى التراكبون أيديهم في جيوبهم. وكلُّ من عن

له أن يخلع حذاءه ليريح قدميه يجده، بعدها، قد امتلأ بعرق غزير، بارد،
بارد.

لذا، فحين نزلتُ، كانت قدمي تسبحان في فردتي حذائي.

أمضي نحو مكتبي. في الأعلى، غيمة ميتة ينهش لحمها غراب. ليس هذا
بالفأل الحسن. لكن، ما همّ!

نصرٌ مؤكّد

أثناء مرورنا وسط الأشجار، أَرَحْتُ

ستائرَ عن أعشاش، وأبتسمتُ

للعصافير ، فأبدتُ

بَرَمَهَا... مع ذلك

أنا فرحان.

مارية التي لم تنم جيّداً

تُخرجُ من جِردانها أقلاماً

ثمّ ترسم عيون سيكلوبات

وأنوف مُهزّجين

على طرف قميصي!

مع هذا، فأنا

في أتمّ السرور.

كما أنّ ظلي بدأ يثوخ

في طمّي المرأة، ولن

أتمكّن من إخراجه منها قبل
الغروب،

وثمة عجوز بقربي وقفتُ

وبدأت ترقص

فاندلق من أكمامها شلال حبر أسود

على حذائي الرياضي الأبيض!

مع هذا، أنا فرحان فرحان:

ذلك أنّي سأمضي إلى الملعب على الفور

وأنّي واثق من أنّ النصر سيكون

من نصيب دينامو البرنؤوصي

في مباراته ضدّ أخطر فريق للهياكل

العظميّة

في كلّ العصور!

سأعرج على البار

هذه الابتسامة التي رسمتها شفنا العشيقة وهي تتحدّث عن السكين الهائم
على وجهه في ضواحي المدينة

ربّما تكون من باب استحسان طريقتي الجديدة التي تُسهّل نُطقَ كلماتٍ كانت
تستعصي على الألسنة فلا تُلفظ إلا بعد أن تَدْمَى الشِّفاه

وعلى العموم تكون البسمة نتاج مصادفة محضة من الصّنف الذي يجعل
قطرات الندى تختلف عن قطرات التّبيز عن قطرات

الحمّى التي تنضح بها جباةٌ و أزهار

في بار مارسيل سيّردان أسأل جاري المخرج المسرحي أين اختفيت خلال
الأمس الجميل هل كنتَ

تحت سريرك ذي التّوابض المجدولة من أعصابك

إنّه رجل يحترس من كلّ شيء خاصّة من الذين يجلسون مطبّقين عيناً
وفاتحين أختها خاصّة أيضاً من مُدْمِنِي النُّشوق

مع هذا حدّثته عن شجرتي مارية التي تعاني من حروق

وأدهشني أنّه لم يكن حائقاً عَلَيَّ ثمّ طفرت الدّموع من عيني عصفورة
حطّت على طاولتنا

إنّها ليست سوى العشيقة مارية فهذا هو شكلها حين تمتزج بحفيف أوراق

الشجر ثم تأكدت من أنني سأحضر للغداء فعادت من حيث أنت وبقيتُ على
كرسيّ أرفو عباءة الوقت بإبر من عظامي

مع هذا فإنّي أجدُ صعوبات في فهم كلّ هذه الصيغ الرياضية

التي تلتصق على جبين الصّباح أمّا في المساء فسأرعى عصفير أمّي على التلّة
وبعد أن سدّدت الحساب طلب منّي النادل القصير رقم هاتفني أتوجّه نحو
البيت لا أدري لم أركّز جهدي في الطّريق على محاولة تخيل أنف شكسبير

ثمّ تذكّرتُ محاولتي الأخيرة للخلاص

من وظيفتي كنتُ سأصيحُ ممثلاً وأرتاح لكتّي

لخطة اقتربتُ من يوليوس قيصر لأهوي عليه بالسّكين

ويقول حتّى أنت يا بروتس فأنا كنتُ أعبُ دور

هذا الأخير بقيتُ واقفاً مشدوهاً ذلك أنّي

حين أردتُ أن أخرج السّكين اكتشفتُ أنّي قد أضعته

وأغمي على المخرج فلذتُ

بالفرار ولم ألتقه مجدداً إلا قبل

ساعات في بار مارسيل سيزدان

أمضي في طريقي أرى عمود ضوء

مُحاطاً بأناشيد الضّباب أُحيّي دولوريس الجارة الإسبانية

اللطيفة التي تُطلّ

من الطّابق الثاني فتكشف

لي عن وجوها الخفيّة التي من بينها وجه غابة

ثمّ دخلتُ إلى

البيت جاءت مارية بالغداء وكنّت أنتظر

أن تشرع في الحديث عن السّكين و في الابتسام لكنّ

ها هو الهاتف يرنّ

آلو نعم

أنا النّادلُ القصيرُ يجيبي الصّوت

عَرَفْتُكَ من لثغتك هل من خدمة

أريد أن تكُتب لي رسالة بالإسبانية إلى حبيبي برناردا سمعتك

مرّات تتحدّثُ إلى السيّدة دولوريس بهذه اللغة

أقول مُقاطِعاً يمكنك أن تعتمد عليّ سأعرّج على البار هذا

المساء في طريق عودتي من التلّة رفقة العصافير

قرب السناجب

العشيقة غائبة منذ أيام
الغرفة نائمة منذ ساعات
مُطوّقةً بسياج من ألعاب جدرانها
وأنتَ أمام الباب ولا تُدخُل
وكُنْتَ وقفتَ أمام باب المسرح طويلاً
ولم تدخل ثم جاءك الخبر
بأنَّ الممثل القصير الذي كنت تنوي
أن تُجربِي معه حواراً لصحيفتك
اختفى مِنْ عَلَى الخشبة بعد أن
تهشمت أوفيليا
وتناثرت قطع زجاج
قالوا إِنَّ لِلْمُمثل القصير أنفأ
من الهمهمات
قالوا إذا أُغمِي ثانية على الشَّفَق

سيظهر من جديد
الموتى ساكنو القناني
ويهطل المطر
وتبرز تجاعيدُ الحلزون الهرم
ليس لازماً أن تكون هاملت
لِتُشفقَ على أوفيليا
ولا داعي لأن تركل الباب بعنف
من أجل أن توقظ الغرفة
وإن جاءتك من الداخل أصوات
ارتطام الروبوبات
فمعلوم أنها تنبثق
من رواية الخيال العلمي
المفتوحة على المنضدة
قُرب قَطرة الحبرِ المَهيبة
وأجراسِ النَّحو التي ترنّ
على رأس كلِّ ساعة

لا تنس أن تكتب إلى الغائبة
ياها! إنك تنطلع إلى الأشجار
ياها! كم السهر طويل على الأغصان
وفي مدفن الألوان النافقة
ياها! في الأعالي غيوم من السلوفان
تخشخش في الريح الباردة
لا داعي لأن تركل الباب
يحدث أن تنام الغرف
أن يتناثر أحدهم شظايا
أن تفرّ امرأة من تعاسة رجل
ومع ذلك تستمرّ الأرض في تلميع شعرها
إمض بروح المتشرد التي تنقّمك
واقض الليل في واحد من جراح الغابة
قرب السّناجب الهاربة
من الغيُتُوات

رسالة

لا تقلقي فأنا لستُ تعيساً قضيتُ ليلتي الماضية في كنفِ الغابة حوالِيّ فضاءٍ
مدهش تتماوج فيه أنفاسُ السَّناجب وقبل لحظة أمكنني أخيراً الدّخول إلى
الغرفة أتطلّع من النّافذة فأرى الفجرَ كما عرفناه يتقدّم على قدميه القديمتين
يتصفّح مُسوّدة اليوم القادم يُدخل بعض التّعديلات ربّما على كميّة الأمطار
المتوقّعة في الظّهيرة هذا أمر مستعجل فقبل أيام شوهد النّوتية وهم
يهدّدون القطرة التي أفاضت النّهر

لا تقلقي فالكلمات التي تحيا في رئتيّ آمنة كُليّة والدموع النّائمة على كتف
الجدار قبالي تفوح منها رائحة الدموع مِدوؤد الدّراجة أيضاً مملوء وخالي
الذي كان سيُعَدّم لكثرة حروف العِلّة في اسمه عَفّوا عنه في آخر لحظة وكان
منزعجاً من عطل طال أنفه لكنّ حاله تحسّنت بعد أن قُرِعَتْ في كتفيه
دفوف العافية

ساعاتُ هذا الصّباح متساوية الطّول لم تسقط ولا ريشة بين فكّي الجمرة
المتربّصة ببُغاث الطّير

كلّ هذا وأنا أفتقدك بالأمس مضيتُ نحو مكتب البريد في طريقي قابلتُ
الرّجل-المسمار سرّني كثيراً أنّه لم يصدأ كما ادّعى بعضهم ورأيتُ الباعة
المتجوّلين مصطفىين في طابور طويل يحدّجون السّحب بنظراتٍ رهيبة

حين وصلتُ كان السّاعة يوزّعون التّلغرامات بالتّساوي على فقراء المدينة
واحدٌ منهم همّس في أذني إبتسم العالمُ جميل وكلُّ شيء سيمفونية تاسعة
وأراد أن يعطيني تلغراماً لكنّ يديّ كانتا متشابكتين خلف ظهري فيا لساعي
البريد الطّيب

كلّ هذا وأنا أفتقدك ودميتك اللعوب لم تعد تحشُر خَظَمَها في سُرَّتِها كما
أنّي أعني كثيراً بالألوان الخمسة التي هي أطفال اللوحة المعلّقة في غرفتنا
وحتى أثناء النّوم أحتفظ تحت القناع بابتسامتي
لا تقلقي أنتظرك في هذه الغرفة المُعتمرة طاقيّةً من حَبَب

احتفال

كنتُ قد دعوتُ الميكانيكي الذي هو علاوة على كونه صديقي شاعرٌ كتبَ العديد من القصائد في مدح العجلات والجاذبيّة إلى العشاء فالיום تحلّ من جديد ذكرى القبلة الأولى التي تبادلتُها مع مارية إذا أنتظره الآن أمام بابي وفتتُ إذن أمام الباب ومارية في الدّاخل قد انتهت من تهييء العشاء كم هي مُتعبّة فقد قضينا المساء في السّرير في حال من العنفوان لا تعرف الفتور وبعدها مضت لتنسج للعُشب أحلاماً مُكتظّة بحشراتٍ من حرير وفيما أنا أنتظر أمام الباب رنّ هاتفِي المحمول الصّغير في جيبي
ألو نعم

مساء الخير لا تنتظرنني لن أستطيع المجيء فسائقو الباصات قد أضرَبوا منذ بضع ساعات
إنّه صديقي الميكانيكي الذي لن يمكنه الوصول إلى بيتي وهكذا لن يحضر الحفل الصّغير بالإضافة إلينا نحن الاثنين سوى أخت مارية وصديق الأخت التي قدّمته لي قبل شهر
قد تقولون ادعُ الودودة دولوريس لكنّ هذا غير ممكن

أنا أمام الباب أشعل سيجارة وبعد لحظة وجيزة كمنلة رضية تنتشر في الجوّ
الأمّ أسنان وثمة مصباح صبور أمام دكان التبغ المقابل لبيتي يدوّن بالأشعة
أحلام المدينة

لا يمكنني أن أدعو دولوريس إذ سيكون عليّ إن فعلت أن أحتمل أيضاً
حضور زوجها جلّول العسكري المتقاعد الخريف الذي خدم في جيش فرانكو
وهذا ما لا أستطيعه لكوني طبعاً أكره فرانكو

إلا أنّي أكاد أجنّ من الضحك حين أرى جلّول في الفجر يقوم بتمارينه لابساً
بزة جنديّ الجيش الإسباني القديم يمشي بخطى واثقة موقّعة مُردّداً أونو
دُوض أونو دُوض أونو دُوض

ثمّ يختفي عن ناظريّ بعد أن تكون قد فتّنته مطارقُ الرّيح

أدخل إلى الغرفة حيثُ ينتظرونني متفكّراً في أمر الباصات وكيف أنّها
حوصرت مرّة من طرف قبيلة مُدجّجة بالحِراب كان أحدُ أفرادها قد مات
مدهوساً من قبل باص وفي مرّة أخرى حاصرتها المومياءاتُ مُفترسةُ الحديد
في هذه المرّة الأخيرة ركضتُ مبتعداً عن المحطة وحين توقّفتُ كانت سرّيةً
من أنفاسي قد انسحبتُ مدحورةً إلى كهف بعيد

أدخل وتبادلُ الابتسامات نقضي وقتنا مصيخين للموسيقى ثمّ لتساقط نُثار
الفضة من الأكتاف وبشكل خاصّ نُطري أخت مارية البارعة حقاً في
الرّقص ثمّ أقترح أن نسمع أغنية لكلود نُوغارو الشّاعر ابن تولوز

بعدها تناهى إلى أذني من جارورٍ صفيّرٍ قواقع كما يحدثُ دائماً حين أكثرُ من
الويسكي ثمّ أطللنا جميعاً من النافذة على الحديقة التي ستقضي فيها الليل
سروة متسكّعة لا يعلم أحد
إلى أين ستطوّح بها العصافير
عند بزوغ الفجر

فهرس

الجزء الثاني من "رجل يتسم للعصافير":

II - تربية عاطفية

36 ربّما يكون لي حصان
43 أمسك بمقود الركبة.....
44 سينما
47 ريح قرصانة
49 طقس رائع
51 داهمني الصّباح
53 نصر مؤكّد
55 سأعرّج على البار
58 قرب السناجب
61 رسالة
63 احتفال

||

عيون^{٢٤} كمالما سافرت

يغمسون رأس المهرج

نعم، تمّ الأمر كما فكّرت فيه
فقد ذهبتُ إلى المصبنة
وجلبتُ ثيابنا

وفي طريق العودة، رأيتهم يغمسون رأس المهرج
في رغوة الضحك التي كانوا
قد ملؤوا منها جردلاً كبيراً
وها أنا هنا، أُهديك - فيما أنت تهيئين
الغداء-

البارثينون وقوس آخيل ومبرهنة أقليدس
وجبل البارناس ومخطوطة لإسخيلوس
حتى تكون لك آثارُ خطي
على ترابِ حدائق
اليونان القديمة
- أنا، حديقتي قَدَمي وأظفارها

أزهارها-

وبعد هذا سأردفك خلفي على

درّاجتنا المَطَهَّمة

ونمضي نحو بيتنا القديم الذي كنّا

قد سكناهُ زمناً ثم تركناه

وكنتُ، كلّما سكرتُ تحت سقفه،

تُشعشع عظامي من تحت الجلد واللحم، بوميض

منتظم أصفر وأخضر وأحمر

وذاك كان يُضحكنا كثيراً إذ يُدكِّرنا

بلعبة البلياردو الكهربائي!

الآن، بعد أن ندخل مُجدّداً إلى ذلك البيت

فهو قد يُباغثُ كما

تقولين، لكنّ كوني

متيقّنة من أنّنا سنشعر في عُرفه بنفس

الإعجاب بهيمنة النّمال التي

خلف أحد جدرانه

كانت دائماً تتشكى من الأرق!

بل إنّه سيحتضن بحنوٍ حتّى درّاجتنا

ويُعاملها ككائنةٍ حلّت فيها رُوحٌ

إلهة قديمة
كأنه جسمها من معدن
ولمفودها
بريق!

قُبَيْلُ الْغُرُوبِ

قُبَيْلُ الْغُرُوبِ، نَفَضَتِ الْحُقُولُ
عَنْ ظُهُورِهَا قُطْعَانَ الْمَوَاشِي، فَلَمْ تَذَرْ
لَهَا مِنْ أَثَرٍ
هَكَذَا، لَمْ يَبْقَ فِي جَنَابَتِهَا الذَّهَبِيَّةِ الْأَعْشَابُ
سِوَى بَعْضِ الثُّغَاءِ الْخَفِيفِ
الرُّعَاةُ عَادُوا حَزَانِي
وَأَرَادُوا الْإِخْتِفَاءَ عَنِ الْأَنْظَارِ، فَذَلَفُوا إِلَى الزَّرَائِبِ
وَوَحْدَهُ الرَّاعِي الْأَحْمَقُ بَقِيَّ وَاقِفًا وَسَطَ الْقَرْيَةِ
مُتَهَلِّلًا، يَعْرِفُ لِلرَّيْحِ
مُتَرَجِّبًا
أَنْ تَجْلِبَ بِنَاتِهَا شَبِيهَاتِ الدَّيْبَةِ
حَتَّى يَرْتَعِبَ مِنْهُنَّ الْأَطْفَالَ الْمُتَحَلِّقُونَ مِنْ حَوْلِهِ
فِيضْحَاكَ

من قفرائهم وصياحهم
ومن رفعتهم لعقائهم بندا
أمهاتهم

بَحْرُ أَسْوَدَ

قَارِبُ النَّوْمِ يَمْخُرُ بِي عُبَابَ بَحْرِ أَسْوَدَ يُبْعِدُنِي
عَنْ غُرْفَتِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الشَّنَوِيَّةِ
الْمَوْجُ الْعَاتِي يَتَقَاذَفُهُ
سَيُوفُ الْبَرْقِ، أَيْضاً، تَهْوِي
فِي الْأَعَالِي، بِلَا رَحْمَةٍ
وَحَوْفِي يَتَرَكِّزُ فِي حَاجِبِي!
لَكِنْ، فَوْقَ رَأْسِي، أَنْصَافُ الطُّيُورِ
الَّتِي بَقِيَتْ حَيَّةً بِمُعْجَزَةٍ
تَضَعُ رُضْعاً فِي مَهْوَدِ
وَصَرَخَاتِهِمْ فِي صِنَادِيقِ الْبَرْدِ
وَتَعِدُّنِي بِحَيَاةٍ جَدِيدَةٍ
حَالَمَا أُسْتَبْقِظُ
مِنْ هَذَا الْحَلْمِ الْعَنيفِ!

أسلاف

في هذا البيت، في زمن قديم، تطايرَ شرارٌ كثير
من جسد جدّ، بعد أن ارتطم رأسه

بسقف قبّعه

سكانُ هذا البيت، من أجدادٍ أكثرِ قَدَمًا

كانوا شديدي التدين

واتخذوا إلهًا البركانَ المقدّس الذي

أصبح في مكانه الآن

فُرنٌ كبير

أنا، خلال هذه الليلة، في هذا البيت نفسه

أستمُرُّ في كتابة تاريخ السُّلالة

فَيَدِلُّ إلى غرفتي ناطقونَ بأسمِها من كلِّ

العُصور

يتجمّعون في جانب من الغرفة، فتميلُ تحتِ ثقلهم

يركضون إلى الجانب الآخر، فيشعرون

أَنَّهُ يَمِيدُ بِهِمْ
وَهَكَذَا، أَنَا أُورِّخُ لَهُمْ
وَهُمْ يَمَزِجُونَنِي

لا يُخيفني إلا شيء واحد

زُرْقَةُ هَذَا النَّجْمِ - وَقَدْ كَانَ

صَدِيقَ طِفُولَتِي

وَلطالَمَا حَرَصَ عَلَي إِضَاءَةِ طَرِيقِي

أثناءَ عَوْدَتِي لَيْلاً مِنَ السَّيْنَمَا -

هِيَ بِالتَّأَكِيدِ مَرَضِيَّةٌ

لَقَدْ سَاءَتْ حَالَتُهُ كَثِيراً

هَذَا مَا أَكَّدهَ لِي

طَبِيبٌ مُخْتَصَّصٌ فِي الْجِهَازِ التَّنْفُوسِيِّ

وَعَالِمٌ فَلَكُ

وَمَا هَمَسَتْ لِي بِهِ امْرَأَةٌ فِي بُسْتَانِ

تَبَيَّنَ لَاحِقاً لِلشُّرْطَةِ السَّرِّيَّةِ أَنَّهَا

إِذَا زُرْقَاءُ الْيَمَامَةِ شَخْصِيّاً

أَوْ مِنْ سُلَالَتِهَا...

الشُّرْطَةُ السَّرِّيَّةُ!

يحدث أن يَخْدِجَنِي أفرادٌ منها

فَأَخْدِجُهُمْ

أنا لا آبه بهم

وفي هذه اللَّحْظَةِ، لا يُخِيفُنِي إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ:

أَنْ يَهْوِيَ النَّجْمُ صَدِيقِي مِنْذِ الطُّفُولَةِ

وَاهنَّ القَوَى على هذه الأَرْضِ الحَزِينَةِ

فيما أبقى أنا واقفاً هنا

غَيْرِ قَادِرٍ على أَنْ أَفْعَلَ مِنْ أَجَلِهِ

شَيْئاً

نُزِلَ قَرْمِيداً مِنَ الْعَرَبَةِ

نُزِلَ قَرْمِيداً مِنَ الْعَرَبَةِ فِيمَا
عَلَى كَوْمَةِ الرَّمْلِ الْقَرِيبَةِ
نَحْلَةً عَطُوفٍ تُرْجِي لَنَا نَصَائِحَ بِالْأَزِيزِ
إِنْ نُطَبِّقُهَا تَتَقَوَّ عَضَلَاتُنَا بِالتَّأَكِيدِ
فَنَحْنُ نَرِيدُ أَنْ نَبْنِي مَأْوئاً لِلْعَجُوزِ
الَّتِي مَرَّتْ بِنَا مَتْرَاحَةً فِي الشِّتَاءِ الْمَاضِي
وَاخْتَفَتْ فِي حَقْلِ الْعَدَسِ
مَرَّتْ بِنَا آهٍ مَرْزُورٌ...رَتْ
مَرَّتْ بِنَا مَرْزُورٌ...رَتْ
هَكَذَا غَنَيْنَا لَكَ يَا مَنْ تَرَنَّحْتَ فِي الشِّتَاءِ الْمَاضِي
وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَاضِي، يَا مُقَوَّسَ الظَّهْرِ، يَا أَدْرَدُ
لَقَدْ أَتْرَعْنَا جِيُوبَكَ
صُوراً وَأَسْنَانَ حَلِيبِ
وَأَنْتِ يَا مُدْرَّسَةً كَانَ رَأْسُهَا

يُولِمُهَا فِي الْأَصْبَاحِ خَاصَّةً وَاسْمُهَا

كَانَ يَبْدَأُ بِالْجِيمِ

تَرَكْنَا لَكَ مَا تَيْسَّرُ مِنْ هَآهَاتَ

وَنَمَشًا كَثِيرًا

كُلُّ نَمَشَةٍ لَهَا مَفْعُولٌ حَبَّةٌ أُسْبِرِينَ

كِرَامٌ نَحْنُ وَأَطْفَالٌ وَسَعْدَاءُ

وَلَمْ نَعُدْ مَغْرُوسِينَ بَيْنَ نَبَاتَاتِ الْخُرَيْقَةِ

كَمَا كُنَّا عَلَيْهِ فِي وَاحِدٍ مِنْ أَوَائِلِ

أَحْلَامِي

نَمْدَحُكَ يَا مُتَرَنِّحَةً وَكَمْ وَدِدْنَا

لَوْ دَغْدَغْنَا إِبْطَكَ الْأَيْمَنِ

فَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ جَدُّنَا بَعْدَ أَنْ سَمِعْنَاكَ ذَاتَ لَيْلَةٍ

تُعَلِّمِينَ رُضْعًا كَيْفَ يَصْطَادُونَ شُهْبًا بِالشُّبَاكِ

وَقِيلَ إِنَّكَ ذَاتَ سَهْرَةٍ كُنْتَ تُرَبِّتِينَ

عَلَى حَدَبَةِ الرَّاقِصَةِ

فِيمَا كُنَّا نَنْفُخُ فِي الْهَزْمُونِيكَاتِ

نَنفِخُ وَنَنفِخُ

نَنفِخُ فِيهَا لِتَبْقَى مُعَزَّزَةً وَلَا تَضْدَأُ

فَيُلْقَى بِهَا فِي غِيَاهِبِ السَّجُونِ

نَنفِخُ وَنُغْنِي: مَرَّتْ بِنَا آهَ مَرَزْرَزٍ...رَثَ

مَرَّتْ بِنَا مَرَزْرَزٍ...رَثَ

وَهَكَذَا إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ مِنَ الْبِنَاءِ وَوَقْتَهَا

سُنُقِيمُ حَفْلًا

يَحْضُرُهُ الْبَاعِعَةُ الْمُتَجَوِّلُونَ وَالْمَسَاكِينُ

وَرَاقِصَةُ حَدْبَاءِ

وَابْنُ السَّبِيلِ وَالْمُدْرَسَةُ بِضِدَاعِهَا

النَّصْفِي

وَكَذَلِكَ الْوَجُودُ وَالْعَدَمُ

وَالْتَلْمِيزَاتُ اللَّطِيفَاتِ اللَّوَاتِي فَتَحْنَ قُلُوبَهُنَّ

لِلسَّيَّارَاتِ الصَّغِيرَةِ الْحَزِينَةِ

الَّتِي وُلِدَتْ

بِلا عَجَلَاتِ

أعزفُ على هَرْمُونِيكا خياليَّة

غُيُومٌ دَاكِنَةٌ تَسْرِي فِي الْأَعَالِي مُتَجَهِّمَةً
كَأَنَّهَا هِيَ بِدَوْرِهَا مُتَعَبَةٌ وَضَجِرَةٌ
هَذَا مَا قَلْتَهُ لِنَفْسِي وَأَنَا أَسِيرٌ فِي هَذَا الْإِتِّجَاهِ ثُمَّ
فِي ذَاكَ

إِنِّي حَائِرٌ، وَهَذَا يَجْعَلُنِي أَضْحَكُ وَأَعزِفُ عَلَى
هَرْمُونِيكا خياليَّة

حَقًّا كَانَتْ هُنَاكَ سَهْرَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْمَدِينَةِ الْهَادِي

لَكِنَّ ذَاكَ كَانَ الْبَارِحَةَ

وَحَقًّا كَانَ هُنَاكَ تَمَثَالٌ

يُنْحَتُ فَلَا حِينَ وَأَبْقَارًا فِي قَرْيَةٍ

لَكِنَّهَا قَرْيَةٌ تَنَائِي دَائِمًا فِي الْأَصْبَاحِ

عَمَّنْ يَتَّجِهْ صَوْبَهَا

وَكَثِيرٌ مِنَ الْمَدْفُونِينَ فِيهَا مَاتُوا

جَرَاءَ سَقُوطِهِمْ عَنِ السُّطُوحِ

لذا فأنا أُحرِّكُ كتفي السّاخنة
أغذُّ السّير صَوْبَ الزّهرة التي اكتسبتُ شهرةً
لديّ بعد أن ترافقَ عِظُرُها وَقَلَّتِي
في طُرُقٍ وفي العديد
من محطّات القطارات
سأجلس قليلاً قربك أيتها الزّهرة
مثلما يجلس إنسان قرب قلبه
وأستعيد أصباحاً كنتُ قضيتُها وأنا طفل
على شاطئ المدينة هذا الذي أرى الآن جانباً منه
هنالك خلف الأشجار
آه! في تلك الأيام كانت الكلمة العليا في هذا الشاطئ
لجرادة
وقد انقلبتُ في السّنة الماضية
حوريّةً بحرًا!
وفي انتظار الوصول إلى زهرتي، هذه نصيحةٌ منّي
إليك أيتها العابرُ بقربي

إليك أيتها العابرةُ جنبي
لا يدلِّفن أحدٌ منكما إلى هذي الحديقة المتوحّشة
التي هي الآن قبّالتي
إن شاء ألا يُكسّر له ضلع أو يلتمع دمّ
على جبينه
ففي جنباتها عشنا زمناً شقاوَةً طفولتنا
نتحارب بسيوف من صنّعنا
وفي فترات الهدنة نُصفر مُقلّدين موسيقى
بعض أفلام الويسترن ثمّ نبدأ
في تصويب أحجار إلى أيّ منّا
كان يقبل أن يعتلي شجرةً ويتقمّص
شخصيّة غراب
كبرنا الآن طبعاً لكنّ أحجارنا ما تزال
على نرقها
أما كلّ ذلك الصّغير المُنعم الذي كُنّا نصدح به
فلا أعرف في أيّ من أصقاع الأرض

تلتقطه الآن آذان

ولا في أيّ البلاد يُطفئ شموعاً

أو تحسبه كلاب سائبة

موجّهاً

إليها

أُصْعِدُ مِنْ قَعْرِ بَعِيدٍ

كُنْتُ قَدْ تَرَكْتُ رِسَالَةً قَبْلَ أَنْ أَمْضِيَ لِأَغْرُقَ

أَنْ تَحْيَا غَرِيقًا: تَجْرِبَةٌ أَثَارَتْنِي

مَنْذُرٌ أَنْ قَرَأْتُ صَفْحَاتٍ فِي كِتَابٍ:

"كَيْفَ تَصْبِحُ بِرِمَائِيًّا فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ!"

لَكِنَّ الْعَيْشَ تَحْتَ الْمَاءِ كَانَ يُنْذِرُ

بِأَنْ يَكُونَ قَصِيرًا

وَوَخَّذَهَا رَغْبَتِي فِي الْعُودَةِ لِتَصْحِيحِ

تَعَابِيرٍ فِي رِسَالَتِي تِلْكَ، أَنْقَذَتْنِي

إِذْ جَعَلْتَنِي أُصْعِدُ بُوْثِيَّةً مِنْ

قَعْرِ بَعِيدٍ

الآن، وقد عدتُ، ها أنا في غرفتي

أُنْعَمُ بِالْهِنَاءِ الْعَادِيِّ الَّذِي يَشْعُرُ بِهِ

أَيُّ شَخْصٍ فِي حَالَتِهِ الْعَادِيَّةِ

تحت ثيابه الأليفة، بلا موج

يحيق به

إنه لمجنون حقاً

من يفكر في أن يعيش

تحت جلد

البحر!

قَدَمٌ مَنَسِيَّةٌ

كان عندي كتابٌ نادر: "كيف تُصبح برمائياً في خمسة أيام". أبي أحرقه لأنه، حسبما قال، لم يكن يحبّ السّلاحف وأشباهها.

إنّرها، غادرت البيت مُغضباً، وتخفّيت شهوراً في تنهيدة امرأة.

ثمّ نفختُ في صبيحة فصيرتها بالوناً لعبتُ به زمناً وعثرتُ على أقدام طُحلب في التّاريخ تحت قدمٍ قديمة جدّاً ومنسيّة في حقل، فتركها تَركل ذلك البالون وتُنجز المراوغات.

قلتُ في نفسي لعلّها قدمُ أبينا آدم التي كان ركل بها تفاحة الجنّة ليُصيرها بالوناً وهي حقّاً تستحقّ أن تكون قدم لاعب كرة قدم مُحترف يُهاجم ويُسجّل الإصابات في الجنّة.

ثمّ عُدتُ إلى البيت. وفي اليوم نفسه أصلحتُ ذاتَ البين مع العائلة. أدهشني، فحَسب، أنّ القِطّ لم يبقَ منه غيرُ شبحه.

وفي الفجر المُوالي، كنتُ في وسط المدينة مع الذين يقذفون أحجاراً صوب حارس السّاحة التي خصّصتها الحكومة لانتحار المجانين.

هذه المغامرات، لعلمكم، حُفظتُ في أرشيف الرّيح، هنالك خلف جبال الهملايا.

أنا الآن

أنا الآن في قرية جدّي
أقعد كرسياً صغيراً تحت حائط الجامع القديم الذي
يتدلّى حواليه صبار كثير
وثمة كلاب تقضي قيلولتها في ظلّ كومة تبن
فيما تتحدث جماعة المقامرين تحت شجرة
خلف الجامع
بأصوات خافتة ومتوتّرة
عن عبد السلام بائع الكيف
وكيف اعتقله الدرك في الصّباح
وكيف كانت الومضات تنثال من شيب رأسه
قويّةً
وتتناثر في الجوّ متأجّجةً
أترى كان ذلك من خوفٍ شديد
أم من حقدٍ عنيف
أمّا أنا فكنْتُ أيضاً قدّ قمرتُ ذات صباح
بحصان صغير
وساعَتها كانت أنغامُ جازٍ تتنامى
في أذني اليمنى

وفي اليُسرى كان يُسمَعُ حدّادون

وهم ينهالون بمطارقهم على

حدّواتٍ وخسرتُ حصاني

الصّغير

وها أنا تحت حائط هذا الجامع القديم

أتابع قراءة رواية

روايةٍ رهيبةٍ عجيبٍ أمرُها

ياه!

ما أكثر قتلاها!

يَوْمَ جُنْتُ

أنا كنتُ قد جئتُ إلى قرية جدِّي هاته
في قطارٍ بطيءٍ، وطيلة الرحلة
كنتُ أترصد ظهورَ تلك الصقور في الفضاء
أعني الشواهين الخمسة المزهوة بتلاوين مناسرها
والتي قال عنها صحافي أمريكي في الهيرالد تريبيون
إنها ألفتُ أن تتبَع قطاراً حتّى يصل
إلى مشارفِ نهرٍ
قُرَبَ غابة في بنسلفانيا
لكنّ القطار الذي استقلّته يَوْمَ مجيئي إنّما كان ماضياً
صوب مرّاكش
(فمنها، أُكْمِل، عادةً، إلى قرية جدِّي)
لذا، لم تكن هنالك صقور، وإنّما وجه

يُشبه المسيح
يهتزّ بلا توقّف، من وراء الزّجاج، قبالة وجهي
وكلاهما هائم في خيالاته
وينضح بالعرق!

يا مُقَشَّرَةَ الدَّهَانِ

تُزَعِّجُنِي قَصَّةُ شَعْرِكَ يَا نَجْمَةَ

إِنَّ لَهَا رَائِحَةَ نَعْجَةٍ مُبَلَّلَةٍ

لَا أَحْبَبُكَ يَا قَمَرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ

فَأَنْتِ لَا تَتَفَوَّهُ إِلَّا

بِكَلِمَاتٍ نَابِيَةٍ

وَمِنْ حُسْنِ الْحِطِّ أَنْ الَّذِينَ يَحْشِمُونَ بِشِدَّةٍ

هُمْ إِمَّا صَمٌّ

أَوْ يَغْطُّونَ فِي نَوْمِهِمْ

أَمَّا أَنْتِ يَا مُقَشَّرَةَ الدَّهَانِ

يَا ذَاتَ الْجُدْرَانِ الْمُصَابَةِ بِالْهَذْيَانِ الرَّعَاشِيِّ

يَا عَجُوزاً مُعَلَّقَةً

تُتَلَجُّ مِنْ أَحْمَصِ قَدَمَيْهَا

يَا غُرْفَتِي

فَجَوْفُكَ بَحْرٌ بَارِدٌ

مَاؤُهُ مِنْ دُخَانِ سَجَائِرِي وَنِظْرَاتِي

تعجُّبي

وأنا، متى استطعتُ أن أُغافل

بِرُذْكَ، سأهْجُرُكَ وأمضي

منزلقاً على ابتساماتِ حمائمٍ صديقةٍ

حتّى هونولولو

ففي هونولوووولو

القَداحاتِ الجَميلاتِ

تُبَادِرُ للرّقصِ للوافدِ الجديدِ

والمدافئِ الكهربائيّةِ تعيشُ صامِدةً

وتموتُ واقفةً

وإذا شعرتِ بالغربةِ في هونولوووولو

يمكنك، بحركةٍ من رأسك

أن تُحيِّي نفسك، فتشعرِ بدفءٍ

إنسانيّ عظيم!

حقّاً، قد يحدثُ في هونولوووولو

أن أبيتَ ليلةً ما في فندقٍ ناقصِ

التدفة

فَطَلَّ عَلَيَّ الْقَشْعِرِيْرَةَ بَعِيْنِيْهَا اللَّمَّاعَتَيْنِ

مِنَ النَّافِذَةِ الَّتِي أَكُوْنُ قَدْ نَسِيْتُ

إِغْلَاقَهَا جَيِّدًا

لَكِنْ سَرَعَانَ مَا سَتَلَحَقَنِّي بِي

يَا حَلِيْفَاتِي الْحَمَائِمِ

وَبِضْرِبَاتٍ مِّنْ مَّنَاقِيْرِكُنَّ ذَوَاتِ

الْبَاسِ وَالْبَسْمَاتِ

تُكَبِّدْنَ عَصَابَاتِ الْبَرْدِ اللَّعِيْنِ

أَفْدَحِ الْخَسَائِرِ

حميمية

عن خَدِّ شَجَرَتِي اليافعة
التي تحرس باب حديقتي
أنفُضْ غبارَ النجوم
فيما أزهارٌ تتسلى بعزفٍ خفيف
على آلةٍ ما، أخذس وجودها
ولا أراها
وأنتِ تستحسنين عزفها
لقد مرّت علينا ساعاتٌ منذ أن حلّ الليل
وفجأة : هذا الشفقُ الذي
ينداح من قنّينتنا الأخيرة الواقعة
على الطاولة، فارغةً منذ ساعات!
شفقٌ ينداح منها وينتشر
ويلفّ قامةَ الساهرةِ جنّبي
المضمّخة بضحكتها

في هذه الليلة النَّاشِطَة

إِلَامِن عَرِقِ

نَحْرَهَا!

شؤون عائلية

ماتت الخالة الكبيرة، بعد عمرٍ مديد، وبعد انقطاع المطر

الوشوم التي كانت تزيّن ظاهر كفيها

أصبحنا نراها على

سقف عُرفتها

مُهرتها الصّغيرة لَبِثتْ على دُهمتها

الظائر الذي قضى في رُفقتها أيّامها الأخيرة

ومات معها أيضاً

بقيتْ منه رُفرةٌ جناح

تجوش تحت السّقف ووحدها ابنةُ الخالة

تراها

ابنة الخالة، الحريضة

على ابتسامات صغارِ الأسرة وكثيراً ما تنقشها

على خواتم

ونحن الذين حملنا التَّأبُوتَ ومضينا

صَوَّبَ المَقْبِرَةَ سِيفوتنا

البيع والشراء في السَّوقِ الأَسبوعي

لكن سَتُرَافِقُنَا المَهْرَةَ الصَّغِيرَةَ

وتَنسُجُ لنا الأمانِي

بِالْحَمَحَمَاتِ

بِذْرَاعِي اللَّتَيْنِ طَالَمَا...

بِذْرَاعِي - اللَّتَيْنِ طَالَمَا حَمَلْتَانِي

حَتَّى بَابِ بَيْتِنَا

حِينَ كُنْتُ أَتَعَبُ مِنْ إِحْصَاءِ الْكَهْفِ

إِذْ إِنَّ هَذِهِ مِنْ هَوَايَاتِ شَبَابِي -

أَسَدَّ الطَّرِيقَ فِي وَجْهِ فَتَى شَرِّيرٍ

كَانَ يُقْبِلُ رَاكِضًا وَيُنْوِي

أَنْ يَكْسِرَ أَغْصَانَ شُجَيْرَةِ خُرَامِي

تَشْتَرِكُ فِي مَلِكِيَّتِهَا

سَبْعُ جَرَادَاتٍ

أُفْلِحُ فِي صَدِّهِ فَيَنْكُضُ عَلَيَّ عَقْبِيهِ وَيَخْتَفِي

وَأَسْمَعُ هَمَّهَاتٍ تَتَنَامَى إِلَى أُذُنِي

مَتَسَارِعَةً

وَتَنِمُّ عَنْ قَلْقِ أَكِيدِ:

إِنَّهِنَّ الْجَرَادَاتُ السَّبْعُ، عَابَسَاتٍ
بِالتَّأَكِيدِ، يُحَلِّنَ وَاقَعَةَ الْهَجُومِ تِلْكَ
مِنْ كَافَّةٍ
أَوْجُهَهَا

سَأَسْحَبُ مِنْ دُخَانِهَا وَأَنْفُثُ

يُرِيدُ هَوَاءُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَنْ يَتَخَلَّى عَنِّي
أَنْ يَتَوَارَى خَلْفَ هَذِهِ التَّلَّةِ وَيَأْخُذَ مَعَهُ أَفْكَارِي
لِيَجْعَلَهَا تُخْشِشَ

وَيَسْتَمْتِعَ بِذَلِكَ، فِيمَا أَنَا

أَخْتَنِقُ

وَأَزِيدُ اخْتِنَاقًا!

أَهْ يَا عَزِيزِي الْهَوَاءُ الْمُخَاتَلُ

إِنَّ مَسْعَاكَ سَيَبُوءُ بِالْفَشَلِ

فَأَنَا الْآنَ سَأَشْعَلُ سِجَارَةَ

وَسَأَسْحَبُ مِنْ دُخَانِهَا وَأَنْفُثُ

ثُمَّ أَسْكَبُ

ثُمَّ أَنْفُثُ

وَهَكَذَا إِلَى أَنْ يَتَغَلَّغَلَ بَيْنَ حَنَائِكَ الدَّخَانِ

وتزرقّ دواخلك

وتتقهقر متبّدداً

وتصيرَ أضحوكةً

ثاني أوكسيد

الكربون!

شمس صغيرة

يَتَطَلَّعُ إِلَى شَمْسِ هَذَا الصَّبَاحِ
إِنَّهَا صَغِيرَةٌ مَا تَزَالُ، يَقُولُ فِي نَفْسِهِ
مِنَ الْخَطَا، وَلَا شَكَّ، أَنْ تَكُونَ قَدْ اعْتُمِدَتْ
فِي هَذِهِ السَّنِ الْمُبَكَّرَةِ
شَمْساً فَعَلِيَّةً.

إِنَّهُ يَرَاهَا الْآنَ مُجَرَّحَةَ الْخَدَّيْنِ
مُعَفَّرَةَ الْجَبِينِ
يَسْأَلُ: هَلْ عُدْتِ مُجَدِّدًا إِلَى شَقَاوَتِكَ
وَتَجَرَّحِ خَدَاكَ فِي مُشَاخَنَاتِ
وَتَدَخَّرِجِي عَلَى أَثْرِبَةٍ؟
وَيَسْمَعُهَا تَقُولُ:

لَا، بَلْ طَارَدْتَنِي غَرَبَانُ مَعْدِنِيَّةِ
وَحَاوَلَ أُسْرِي مَا سُوْنِيُونَ لَهُمْ وَجُوهٌ

مِنْ حَجَرٍ

ولجأتُ إلى هَنودِ حُمْرٍ

يَضَخُّونَ فِي حَائِنَاتٍ...

يتابع طريقَه إلى المَقهى

الَّذِي يَشْرَبُ فِيهِ، فِي العَادَةِ،

قَهْوَتَهُ الصَّبَاحِيَّةَ

هو فرح، فقد سمعَ كَلامَ

الشَّمْسِ-الطُّفْلَةِ،

وبعد لحظات، ومن ألقى عينيه

سيرسم لها صُورَ أطفالٍ من سنِّها

لتلعبهم

حتَّى يَحِينَ أوانُ

غروبها!

وأصبحتُ سيّد السّاهرين

كنتُ صيادَ سمك
وكنتُ غنيّاً أو فلنقل
إنّه لم يكنْ ينقضي شيء
ثمّ ساءت أحوالي، بعد أن عشقتُ
حياةَ الليل
بغوانيتها بنبيذها بحُرُوبها
وأصبحتُ
سيّد السّاهرين
وحسبوني جنّنتُ
حينَ بدأتُ أرى في منتصفاتِ الليالي
ومعي شبّاكي التي صرّت ألقياها
إلى أعلى، لعلّي أصطادُ
ابتساماتِ نُجوم
أو همهماتِ غيومِ الليل

أَوْ حَتَّىٰ حِصَانًا مُّجَنَّبًا لَطِيفًا

يَخْمَلُنِي عَلَىٰ ظَهْرِهِ

وَيَمْضِي بِي فِي رِحَالٍ عَجِيبَةٍ

أَقْصَىٰ وَقَائِعِهَا، فِي يَوْمٍ مَا، عَلَىٰ أَحْفَادِي

الْقَادِمِينَ!

وجهك يا غريبة

حَمَمَةٌ أَرَاغِنِ

بَدَأَتْ، تحت تأثير أبحرة النبيذ

تتشبه بأحصنة،

أنغامُ جَاز،

جيتارة تتجهّم للحظة وجيزة

ثمّ تبدو طُلقة الأسارير،

سجائر مرتعشة

تُشعلها قَدّاحات زائدة المَرَح،

وجهك يا غريبة

ذُو الابتسامات الأليفة،

وهذه السّجارة التي قَضَتْ بِلا نار

إذ سَقَطَتْ بين مُكعّبات التّلج:

إنها بدايةً ليلة جديدة

على رسلنا

نسوقها

إلى حتفها!

المُعَلِّمة تُزَيِّنُ بدلتها

المُعَلِّمة تُزَيِّنُ بدلتها بِطَائِر
في حجرة الدّرس تقول إنّ المعادلات
اختفت فجأةً من رأسها حين كانت تسبح
في البحر

تلميذةٌ قالت: ربّما أكلتها الأسماك
فقلنا جميعاً: ربّما، ربّما

بِمُشِطٍ طويلٍ حَمَلَتْهُ إليها الرِّيحُ
تَفَرُّقُ المُعَلِّمةُ شَعْرَها من الوسط
لكنّ من يصفقُ منّا أكثر ممّا يجب
سيُحَكِّمُ عليه بالطّواف سبعَ مرّات
حول المجنون النّائم
قُرْبَ محطّة البنزين!

خُطوات

ها الليل قد انتصف
وها أنا أمشي في نومي
ممسكاً بيد طفولتي التي تظرف
بعينيها العنيدتين
فيما ترنيمَةٌ تتصاعد
من منقار الغراب صديقي
الحالم في غابة شعري
أمامي هذا الدّغل الكثيف
وهذي الطّريقُ شبه المُظلمة
لكني أتقدّم بعزم
صوبَ حقلِي الصّغير
لأزرع فيه بُزورَ
رُؤْي
فاتنات!

أتهياً للإبحار

مشيتُ تحتَ صغيرِ غيمة
كانتُ تتلّهَى
ببتبّعِ شريطِ ذكرياتي
والقرويةَ التي كانتُ عشيقتي
ذاتَ يومٍ في بيدرٍ ما
ظهرتُ بدورها خلفَ نافذةٍ بعيدةٍ
باسمةً ومحاطةً بالعصافير
باسمةً وتنقُرُ
على طبليةِ أذنِ الريحِ الرّصينةِ
يا عشيقتي يا عشيقتي
كوني لي خيمةً
على جبلِ الكهرباء
بهذا رفعتُ عقيرتي وأنا، في عُرفةٍ
نومي، أتهياً للإبحار
في كأسِ غريبةِ

غريبٌ أمرٌ هذا الحقل...

غريبٌ أمرٌ هذا الحقل
إنّه متجهّمٌ على الدّوام
وهذا النّاي
الذي ليس سوى بلعومٍ مديد
وهذي البئر التي حفرناها
أيامَ المُرَاهقة
وها قد وُلدَتْ قُمصاناً ووزّعتها
على حاملي الدّلاء الهائمين
غريبٌ أمرٌ هذي المداخن
المهجورة على السّطوح
حين ننظر إليها بعيوننا التي
طلّما سافرت
رفقة لقالق الطّفولة!

قَرِير العِين

لأُمبالياً أتقدّم بين الأشجار في هذه اللحظة التي تخفّفت من كَيْفَ ولماذا...
إنّها لحظةٌ إغفاء المطر. وها الجدول الأنيق الذي بالكاد خرج من الطفولة،
يُرَبّت على خدّ سلحفاة، يُلحس زَبَدَ جُفونِها.

ألّوح بيدي للحمامة التي دوّخت صيادي المنطقة، أصفّر لأرنبٍ ذاهل، وقفّ
تحت شجرةٍ يمسحُ عرق جبينه، وألقي بالسّلام على البركة التي شكّلتها مياهُ
الألم... وليست عظامي بالحزينة فهذا نشيدُها، أمّا القناني التي تركتها في
بيتي لتحرّسه فهي تنتقلُ في أرجائه بأقصى الحذر، وليس مُحتملاً أن تقع
اصطداماتٌ بينها...

وسط الدّغل إذن أمضي، باسماً في سِرِّي من غمغماتِ صيِّادٍ أحببتُ
مساعيه بصفيري.

حانة

حانة تُطلِّ على بركة صغيرة، قُرْبَها

شجرةٌ تحسنُ حمايةَ الظِّلِّ

الذي يصلُّ راكضاً من جهة البحر

يُطارده خُفّاً أبيه الغاضب

حانةٌ، يحدثُ أن أُطلِّ من نافذتها على الليل

وهو يمضي نحو الشاطئ

مُرَدِّداً أغنية بحار

حانةٌ، يحدثُ أن أُطلِّ من نافذتها والظلام يهبط

فأرى العصفور الذي كان يلعب

الذي كان يجذبُ تلةً من ذيلها

يُسَدِّلُ ستائرَ الحقل

ويأمرُ الأعشاب بالنوم

إنَّها حانة القرصان، البعيدة

عن صخب المدينة،
حيث، هائناً، يَشِيخُ النَّبِيذُ
في مسامّي

خرفان الليل

جوّ سبتمبر الجميل يتشربُ الضوضاء القادمة من وسط المدينة. من نافذة بيتي، تبدو لي سفينةٌ تُبحر. إنّ لها شكّل قوقعة كبيرة. والهضبة القريبة، كأنّها أضحّت شفافة، فهي لا تحجبُ عني البحر. لقد اقتعدَ سطحها العالي الشخص طويل الشعر نفسه، وهاهو يقوم، كالمعتاد، بحركات توحى بأنّه يقطف غيمات ثم يعصرها وبعدها يطلقها لتعود إلى الفضاء مثلما حمام. حين التقيته ذات ليلة، قبل سنة، فوق صخرة تشرف على البحر، قال لي إنه يُسمي نفسه سيزيف الجديد. كانت الأمواج لحظتها خرفاناً مُلتهبة المزاج، ما تنفك تهرب، ثم تعود، ثم تهرب من جديد. وكان كلّ منّا قد جاء إلى ذلك المكان، بقينة نبیذه وكأسه، ليشرّب ويشهد البحر على انتشائه... وتحادثنا، فاكشفنا أننا، في بدايات الشباب، درسنا في نفس الثانويّة، خلال نفس السنوات، وأننا، في نفس الوقت، أحببنا نفس الفتاة...

كلّ تلك المصادفات، والخرفان المائيّة لا تني تركض وتركض... نُغاورها يتشربُه جوّ سبتمبر الجميل.

عَامِلُ الْكَهْرَبَاءِ ذَاكَ وَزَوْجَتُهُ

عَامِلُ الْكَهْرَبَاءِ ذَاكَ وَزَوْجَتُهُ اللَّذَانِ كَانَا
يَشْرَبَانِ كَثِيرًا فِي الْحَانَةِ الْوَحِيدَةِ
عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ،
يُرَدَّدَانِ أَغَانِي لَجِيمِ مُورِيْسُونِ،
وَيَقُولَانِ، بِحُزْنٍ، إِنَّهُمَا رَبَّيَا سَفِينَةً صَغِيرَةً
لَكِنَّهَا أَبْحَرَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ
وَلَمْ تَعُدْ
رَأَيْتَهُمَا أَنَا وَشَخْصٌ ذُو جَبِينٍ أَحْمَرٍ، قَبْلَ
لِحْظَاتٍ، وَاقْفَيْنِ
بِدَاخِلِ سَكَّةِ الْقَطَارِ
يَحِيطُ بِهِمَا الْخَلَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
دَفَعْنَاهُمَا بِكُلِّ قِوَانَا
وَلَمْ نَسْتَطِعْ زَحْزَحَتَهُمَا
الشَّخْصُ ذُو الْجَبِينِ الْأَحْمَرِ أَخَذَ أَحْجَارًا
وَبَدَأَ يَرْمِيهِمَا بِهَا
لِيَجْعَلَهُمَا يَخْرُجَانِ مِنْ بَيْنِ الْقَضِيْبِيْنَ الْأَسْوَدِيْنَ

أما أنا فإني أركض وأركض
وبمجرد ما أرى أناساً آخرين
سأصرخُ بملء صوتي
طالباً النجدة

أهذه هي الغرفة؟

كنتُ في رحلة بحريّة وهاج البحر كثيراً وَعَمَّ الخوف
بين الرّاكبين، وها أنا الآن
وحيدٌ في غرفةٍ بائها - هذا ما أذكره بصورة
مُبهمّة - يبدو كما لو أنّه كان يتّسع
ثمّ يتقلّص رويداً رويداً.
أذكرُ، بشكلٍ غامض، أنّ جدرانها،
من الخارج، كانت ملساءٍ جيّداً
وباردةً وكأنّها مُنحنية وكأنّ الأصابع
تكادُ أن تُنوخَ فيها!
وحيدٌ أنا في هذا المكان المُغلق الذي
لا أدري حقّاً كيفَ حلّلتُ به!
سَلَوَى،

أهذه هي الغرفة على الشاطئ التي طالما
التقينا فيها خلال
ذلك الصّيف القديم؟

سَلَوَى سارعي بالمجيء وقولي لي
أهو التيار الكهربائي مُنقطع هنا؟

أَمْ تُرَاكٍ لَا تَسْتَطِيعِينَ الْمَجِيءَ
لَأَنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ أَصْلًا غُرْفَةً،
لَأَنَّهَا، رَبِّمَا، حُوتٌ حَقِيقَتِي
سَأَقِيمُ فِي جَوْفِهِ زَمَنًا
وَبَعْدَهَا يُلْقِي بِي
عَلَى سَاحِلٍ
جَمِيلٍ؟

الجسر الساخن ظهره

الجسر الساخن ظهره بسبب نزلة برد
المصابة عُمدته بالحمى
الذي قَطَعْتُهُ قبل ساعة
هو الذي أَخْطَطُ الآن لأبحاثي
المتعلقة بمنشئه وبالمناطق التي جُلبت منها
موادّ بنائه
أبحاثي التي سأعاين من أجلها براكين
ومقالع أحجار وامتداداتٍ رملية
أذهبي الآن لتنامي، سلوى
ما دمتِ سترافقينني منذ الصّباح الباكر
في رحلةٍ بحثي الطويلة عَبْرَ جِسْرِنَا العتيد
الذي تُسَخِّنُ ظهره نزلةُ برد

وَتَمَرُّقَ عِبْرَهُ أَرْوَاحُ أَسْلَافِ
مُنْدَسَّةً فِي قَوَاقِعِ

كُنْتُ لِلتَّوِّ قَدْ وَصَلْتُ

كُنْتُ لِلتَّوِّ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ
الَّتِي لَمْ أَرُهَا مِنْذُ صَيْفٍ قَدِيمٍ
وَكَانَ جِرَّاحُونَ عَلَى شَاطِئِهَا
يُخْرِجُونَ مِنْ جُمُجْمَةٍ غَرِيقٍ جِيءَ بِهِ مِنْ عُمُقِ الْيَمِّ
طَحَالِبَ وَقَوَاقِعَ
وَيُجَرِّدُ مَا يُعِيدُونَهَا إِلَى الْبَحْرِ
يَقِفُ ذَلِكَ الْغَرِيقُ وَيُكْمَلُ إِغْلَاقَ جُمُجْمَتِهِ
بِيَدِيهِ
وَيُحَيِّي الْخُضُورَ بِإِشَارَةٍ
وَبَعْدَهَا يَأْتِي مُمَرِّضُونَ بَغْرِيقٍ جَدِيدٍ وَيُمَدِّدُونَهُ
عَلَى سَرِيرِ الْجِرَاحَةِ
فِيمَا يَكُونُ سَابِقُهُ قَدْ رَكِبَ
دَرَّاجَتَهُ النَّارِيَّةَ وَمَضَى نَحْوَ بَيْتِهِ
حَيًّا وَلَكِنْ بِلَا لَحْمٍ يَكْسُو عِظَامَهُ،
بِلَا لَحْمٍ وَلَكِنْ بِرُوحٍ مَرِحَةٍ...

أَصْدِقَاؤُهُ سِيحْتَفِلُونَ بِعُودَتِهِ هَذَا الْمَسَاءَ

وَسَيَلَا حِظُونَ أَنَّ لَهُ فِي الرَّقْصِ

هَزَّةً كَتِفٍ

لَا تُضَاهِي

كان يمكنكما أن تُشكَّلا زوجاً رياضياً

هذه الصّورة بهذي الصّحيفة
هي لبطلّة في القفز بالزانة كانت قد أصبحت
حبيبك خلال صيف سنة
البكالوريا
أنت كنت تُحسن تسلق الحبال
وكم مرّة حدث أن حملتك الريح وترنّحت بك
ورمت بك في قعر وادٍ سحيق
وكانت غيوم تفتل أنفاسها حبلاً
وتدليها صوبك
وكنت تتسلق حبلاً وتعود في سلام
إلى عالمك المألوف
وهي، البطلة في القفز بالزانة
كانت، كلّمها ضجرت على هذه الضّفة من حياتها
تمضي بزانتها إلى جرفٍ شاهق
وتقفز إلى الضّفة الأخرى

حيثُ مِهْمَتُهَا تَنْظِيمُ صَفِّ الْأَنْهَارِ الشَّائِخَةِ

أمامَ مأوئٍ للعجزة...
بَطْلٌ فِي تَسْلُقِ الْحِبَالِ

وبطلة في القفزِ بالزّانة

كان يمكنكما أن تُشكّلا زوجاً رياضياً

ومع الفجر تقطعان المسافات

جزيّاً، لكنكما

انفصلتما

والآن حين يجيء الفجر يجدك

غاطّاً في النّوم

فيما تُنهي الفودكا العجوز

في عروقك

ماراتونها الليلي

وأنتِ بلباسِ البحر

ذات صباح، وأنا بعد طالب وفي الثامنة عشرة
كنتُ في مقهى على الشاطئ
وكان ثمة سباحون يدخلون إلى المياه متقافزين
شاعرين، ولا شك، بالرّاحة
وكنتُ أقرأ أخباراً في صحيفة
لكنّ سرعان ما استأثرتُ بانتباهي تنورةٌ قادمة
فارغةً من صاحبها
مُرتفعةً عن الأرض وأطرافها تهتزُّ إذ
يعبثُ بها التّسيم
وبدّت لي حركاتها
أثناء قُدومها، متماوجةً،
من خلف تلةٍ صغيرة على الشّاطئ
أليفةً لعيني
على الفور نهضتُ
ومضيتُ باتجاه التّلة:
خلفها، كانتِ الابتسامةُ العريضة على
وجهك وأنتِ بلباسِ

البحر، سلوى
لم نكن، قبل تلك اللحظة،
قد تبادلنا غير نظراتٍ
في ردهة الكلية
وأخرياتٍ بباب صيدلية
وقلت: تنورتي
أرسلتها لتأتي بك أيها الخجول
وها هي الآن عائدةً
نحوي

غريبٌ في تلك المدينة

كنتُ غريباً في تلك المدينة وإذا
آثرتُ أنْ أُحَلِّقَ شَعْرِي فِي المَحَلِّ المُسَمَّى
"عند حَلَّاقِ الغُرباءِ"
أصبحتُ وصاحبَه، بمرور الأيَّامِ، صديقَيْنِ
ومرَّةً أُغلقَ مَحَلَّهُ واختفى أَيَّاماً
وحين عاد، أهداني قَنِينَةً فودكا
قال إنَّه جلبها لي من بلدة ما في روسيا
فقد سافر إليها خلال الأسبوع الأخير لأنَّ له
خالةً هناك
نَفَقَتْ لها نَعَجَات
ومضى لِيُعَرِّبُهَا
ذلك كان من جميل المصادفات
ففي تلك الأيَّامِ بالضبط كنتُ قد
بدأتُ أدرسُ الرُّوسِيَّةَ
على يدِ امرأةٍ جميلة
امرأةٍ كانَ بمقدورها ألاَّ تستقبل
الموسيقى بأذنيها إذا هي شاءتُ

وَأَنْ تَشُمَّهَا شَمًّا

وَكُنْتُ أَمْضِي إِلَى مَحَلِّ صَدِيقِي مِنْ حِينَ لَأْخِرِ

وَكَانَ يَحْدُثُ أَنْ يَتَسَلَّلَ أَمْوَاتٌ

بَيْنَ زَبَائِنِهِ لِيَقْصَّ لَهُمْ شَعْرَهُمْ

وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِأَنْ وَاحِدًا مِنْهُمْ

كَانَ فِي حَيَاتِهِ عُضْوًا

فِي الْأَكَادِمِيَّةِ الْفَرَنْسِيَّةِ

لَمْ يَحْدُثْ أَنْ تَحَدَّثَ صَدِيقِي بِأَمْرِهِمْ لِأَحَدٍ غَيْرِي

وَلَا وَقَعَ أَنْ تَكَلَّمْتُ عَنْهُمْ إِلَّا مَعَ نَفْسِي

وَلَا نَدْرِي كَيْفَ نَمِيَ الْخَبْرُ إِلَى الْبُولِيْسِ

الَّذِينَ عَمِدُوا إِلَى دَسِّ مُخْبِرِينَ حَوْلَ الْمَقَابِرِ!

قَبْلَ أَيَّامِ كُنَّا، ثَلَاثَتْنَا، نَتَعَشَّى مَعًا

وَبَدَأَ لِي أَنْ الْحَلَّاقَ صَدِيقِي

لَوْ تَزَوَّجَ مِنَ الْأَسْتَاذَةِ الْجَمِيلَةِ

لَشَكَّلَا أُسْرَةً سَعِيدَةً

وَلَأَنْجَبَا وَلَا شَكَّ أَطْفَالًا

عَجِيبِي الذِّكَاءِ

أَمَّا أَنَا فَرَبُّ بَيْتٍ مِنْذُ سَنِينَ طَوَالِ

أَسْتَيْقِظُ بِأَكْرَأَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَأَمْضِي إِلَى الْغَابَةِ

لأخطبَ في العصافير
وفي المساء، يحدث أن أقضي أوقاتاً
في "حانة القرصان"
أو أمضي إلى السّاحل
لأتفقّد المغارات!

رموز للصيرورة

قال لزوجته في الصّالة

هذا البرنامج التلفزيوني عن معنى الصيرورة

يستثير غضبي

قالت الزّوجة إنّ أولئك المتفلسفين الثّرثارين

يعقدّون على النّاس الحياة

ويذكّرونها بعمّها المجنون

الذي كان يُحاول أن يشدّ الغيوم إلى بعضها

بالبراغي

وقالت إنّها حين كانت تلميذة

سألها أستاذة عمّا هو العدم

فبدأ لها هذا الأخير في منتصف الليل

محلّقا فوق دولاب الملابس

في هيئة تجعيدة!

أفلا تكون، إذن، هذه كلها رموزاً للصيرورة، تساءل الزوج:

هذا الجورب المثقوب مثلاً

المتروك فوق وسادة؟

أو تلك النوبة العصبية التي أصابت

بالأمس ذبابةً في المطبخ؟

ولمّ لا تلك الصورة الشعرية التي استحمت بالنبيذ

في قصيدتي الأخيرة؟

له ذاكرة حية

كان يمضي عبر شارع العظام
تحت مطرٍ من ابتسامات الأشباح
يُخفي جيداً صرخته السرية
لا يحب الحياة كثيراً
لكنه لا يكرهها
لقد وُلد ذات يوم اشتد فيه الحرُّ
على المجانين
وهو يعيش الآن قرب بركةٍ
يسمعها، أحياناً، تحكي القصص
لجراتٍ من حولها
له ذاكرة حية: رأى مرة سيجارةً في
فم عابر بقربه
فتذكّر أنّها السيجارة نفسها التي

سبق أن رآها في حلم
يتذكر أيضاً أن جدته، قبل وفاتها
أوصته خيراً بعلبة النشوق
التي تعاني من الخرف
وبالرياح الفقيرة
والدجاجات الثلاث
الناسكات

يتمشى على رمل قديم

دونَ رغبةٍ منه

تحوّل، خلال الليل، إلى طائر من نار

وجابَ العديد من الحدائق والحقول

وحدث أن سبّب حريقاً في حقل

تناول به كرزاً

وَحَزَه ضميره بِشِدَّةٍ في أثناء الليل

لكنّه في الصّباح، جاء إلى مكتبه

في هيئته المعهودة، باستثناء

أصابعه التي كانت عُقْلُها

قد أَصْبَحَتْ جَمْرَات!

إنّه يتمشى، الآن، على رملٍ قديم في ذاكرته

مفكراً بالظلم الذي حاق به

بعد أن انكشف أمره

وحكموا عليه بأن يُسَجَّن

في قفصه الصّدرى

سِنينَ عددا

العابرة

العابرة التي كادت ترتطم بي بُعيد الظهيرة

وأنا أخطو نحو عتبة هذه الحانة

هي من كنتُ أسمع قرقرة عظام ظهرها

في الفجر الفاتت وأدعوها الحسنة

وذات مساء شتائيّ قالت إنها لا تنساه

عائناً معاً البحر

وهو يحدّب ظهره

ويتمطى كقط

البارحة كان لنا لقاءً في غرفتي الصّغيرة

حيثُ الغواية دائماً تنتصر، ويُسِرُّ،

على الرُّشد المسكين المُصاب

بفقر الخيال

وكنا حميمين معاً

وصبنا لنا شراباً
ثمّ خرجنا لنُواسي النّهر
ذا المياهِ الحزينة!

بسبب أوراق ميّنة

كان ثمّة خفُّ أجنحة
يتناهى إليّ من حديقة تتمدّد فيها فتاة
على مصطبة
الفتاة كانت رفيقّةً لي في قسم ما
بالابتدائيّ
وفي تلك الأيام البعيدة، كانت قد أُصيّبت
بالتحول بسبب أوراق ميّنة
سقطت من شجرة
على ركبتيها
ثمّ التقيتُها بعد ذلك بزمن
في محطة قطار
وكانت تدخّن كثيراً
قالت يوماً إنّها في طور التحوّل

إلى سيجارة ضخمة
سيجارة ذات فم وعينين
ذات أذنين ونهدين
وهي الآن على المصطبة
تبدو مديدة وملفوفةً بالبياض كأنها فعلاً
سيجارة ضخمة
فيما يتصاعد من ذاكرتها
دخان أبيض ورمادي
ومع هذا، فلا داعي لأن نقلق
إنها لا تزال من لحم ودم
على شفيتها ابتسامة
وتنظر إلى عصفور فوق سلك كهربائي
بعيد

كنتُ وقتها جالساً فوق صخرة

تحت ضوء القمر
يَمْضِي البحر ليدلف إلى كهف
جاءته منه نداءات غرقى
تَمَّ نِسْيَانِهِم هُنَاكَ
لَكِنَّ الْبَحْرَ لَمْ يَعُدْ مِنَ الْكَهْفِ
لَا بِالْغُرْقَى وَلَا مِنْ دُونِهِمْ
كُنْتُ وَقْتُهَا جَالِساً عَلَى صَخْرَةٍ
أَصَبَّ لِي كُؤُوسٌ نَبِيذٌ
وَهَا قَدْ امْتَدَّتْ أَمَامَ عَيْنِي مَفَازَةٌ لَا تَنْتَهِي
حَلَّتْ مَحَلَّ بَحْرِنَا الْجَمِيلِ
وَفِي الْمَسَاءِ الْمُوَالِيِ
تَعَالَى حَزْنُنَا - نَحْنُ سَكَّانَ السَّاحِلِ -
مِنْ صَدُورِنَا، غِزْبَاناً بِالْمِثَالِ
أَنْصَتُوا الْآنَ إِلَيْهَا
إِنَّهَا تَنْعَقُ بِسِيمْفُونِيَّةٍ مُدْأَهَمَّةٍ

في ذكري فقيدنا المهيب
وهي لن تتوقف إلا بعد أن
تتشقق
حناجرها

غرفة ضيقة

وَقَعُ حِذَائِي عَلَى الرَّصِيفِ

يَنْفِذُ إِلَى أُذُنَيَّ، عَبْرَ نَافِذَةِ غُرْفَتِي

إِنَّهُ الْحِذَاءُ الْهَارِبُ مِنَ الْخِدْمَةِ

يَتَابِعُ سَيْرَهُ فِي الْخَارِجِ

وَقَدَمَايَ تَسْتَعْرِبَانِ

هَذَا الْعَقُوقُ

وَتَمَّةٌ أَغْنِيَةٌ تَصْعَدُ نَحْوِي الْأَدْرَاجِ

قَادِمَةً مِنَ الشَّارِعِ نَفْسَهُ، ذِي الْبَرْدِ

الْجَرِيحِ

إِنَّهَا لِلْمَغْنِيِّ الْأَعْمَى، الَّذِي

يَبِيْتُ فِي الْعِرَاءِ، وَعَيْنَاهُ

هُمَا صَنْجَاهُ

أما أنا ففانح بالبقاء في هذه الغرفة الضيقة

لكن، متى ضجرتُ حقاً

أركضُ فيها
فتتحوّل إلى بلد كبير
فيه قتلى يصنعون البارود
وكتبٌ كثيرة، وكنوزٌ مخفية
في رئات
العصافير
بلدٌ كبير ودائري، حيث الحُزن
يُزال بالمماحي
وحيث، كثيرا ما يكون الله
هو التّسيم

كوميديا سوداء

هل تعتقدُ حقاً يا صديقي ميرو

أنتك سبق أن كنت

بطلةً بريّة في حياةٍ سابقة؟

هل فعلاً تُنقّب في ذاكرتك بلّ حتى

في مسامك لتجدَ جواباً

عن تساؤلِكَ هذا؟

ثمّ بالله عليك

من أين جاءتك هذه الفكرةُ أضلاً؟

من كونك، حسبما تقول، أصبحت ترى

بركاً كثيرة في أحلامك

وتسمعُ صوت البطّ فينتابك حينئذٍ غريب

وتُثيرُ انتباهك أيّ ريشةٍ طائفة

مهما كانت واهية؟

لكّنا، بهذه الطريقة،

تثيرُ القلقَ في نفسي يا صديقي
وتجعلني دائمَ الشرود
وتمنعُ النومَ عن جفوني
لأنِّي أصبحتُ، عند كلِّ غفوة، أرى بنادقَ في الخلم
ودخاناً يتصاعدُ أمامي
وكلِّما بدا لي موقدٌ إلا واستثارَ اهتمامي
وكلِّما لمحتُ جَمْرَةً
أو كومةَ أخشابٍ تشتعل
تسمرتُ عليها عيناوي...
فهلْ يا ترى كنتُ في حياةِ آنفة
قنّاصاً
وحدثتُ أن قنصتُك وأنتَ بَطلة
وحدثتُ أن طهُوتُ منك؟..
أه! إنَّكَ تجعلني أتعذب
أه! إنِّي سأبكي...

نبذة ممّا جرى لميرو

في كلّ شوارع مدينتنا
سُمِعَتْ قرقعاتُ مفاصلِ عابرين
فالشّقاء القارس سبّب الرّوماتيزم للكثيرين
وكان من نصيب ميرو، صديقي الرّسام
أن تُصاب يداه
وها هو الآن يحلم
أنّه يصعدُ سلماً لا ينتهي
فيما يداه تطولان وتطولان!..
يصعد ويبتعد كثيراً عن الأرض
وأّمّه يسري الحزن
في مفاصلها المقرّقة
وأنا أحاول أن أواسيها
فيما ننتظر أن يستيقظ ميرو
فلا بدّ أن يحدث هذا

مهما يطل الزّمان
ووقتها أرى ما ستؤول إليه أحواله
وأخبركم!

خُلفاء

لَقَدْ أُعْلِنَتْ عَلَيْنَا حَرْبٌ شَعْوَاءُ
وَلِسْنَا الظَّرْفَ القَوِيَّ فِيهَا!
وَفِي شَوَارِعِ مَدِينَتِنَا رُئِيتُ تَلْمِيزَاتٍ صَغِيرَاتٍ
يَتَظَاهَرْنَ بِالْمَرْحِ وَصَرَخَاتُهُنَّ
تَحْتَ رَمُوشِهِنَّ
وَالْمَغْنِيَّ الَّذِي كَانَ قَدْ عَوَّدَنَا
عَلَى مَرَّحِهِ وَكُنُودِنَاتِهِ
انْكَمَشَ فِي زَاوِيَةِ بَرْقَاقٍ مَهْجُورٍ
حَيْثُ بَدَأَ يَتَتَبَعُ هَلُوسَاتِ عِظَامِهِ
كَمَا لَوْ كَانَتْ مَشَاهِدَ
فِي شَرِيْطِ سِينِمَائِيٍّ!..
لَكِنْ جَمِيلٌ أَنْ يَكُونَ قَدْ جَاءَ لِنَجْدَتِنَا
هَذَا الفِيلِقُ مِنَ العَمِيَانِ

الذين يدخّنون وينفثون الدخان

من عيونهم

وهذه البركة التي يُقال إنّها

سليلاً جبلٍ جليدٍ مهيب

جميل أن تكون قد وصلت كلُّ هذي الأجراس

وهذي السمكة التي هي كُبرى

وزيرات البحر

هذه العجوز التي تظهر عادةً في نهاية كلِّ خريف

لتكنس

الغابات

وهؤلاء الأطفال الشجعان

الذين أنقذوا عسافير في بيد

فلكم نحن محظوظون

بحلفاء

من هذا القبيل!

الماضي والحاضر

المُحاربُ ذو الحِرَابِ، معتلياً البرج في ذلك الزّمان
البعيد، كان يقول:

هذه الإِجَاصَات في تلك الشجرة

هي مصابيح بؤابة هذه الغابة

التي على مشارف مدينتنا.

مساءً البارحة، جاءت عصفورة وأشعلتها

ليهددي صغارها

أثناء التّحليق بين الأشجار

ثمّ مضت إلى أعلى البرج القديم

الذي كان يعتليه المحارب قبل

ألف عام.

أمّا المدينة التي كانت قريبة من الغابة

والتي كان المحاربُ يقطن بها

فقدُ ساخت، منذ زمن طويل

في ظمي أحلامها
لكنّ الغابة ما تزال في مكانها
والمُحارب، حسبما رواه ابن الأثير
مات قبل قرون
بعد أن بدأ يقذف من جوفه كلّ صباح
بيضاً كثيراً
مسلوقاً
وساخناً!

عَيْن

قَرْيَةٌ جَدَّتِي: بُيُوتُهَا تَدُورُ حَوْلَ
صِرْخَةٍ، تَصَاعِدُ عَلَى الدَّوَامِ مِنَ الْبُئْرِ
الَّتِي فِي وَسْطِهَا. لَمْ يَحْدِثْ
أَنْ رَأَيْتُ تِلْكَ الْقَرْيَةَ، لَكِنِّي
كُنْتُ مَتَشَوِّقًا لَزِيَارَتِهَا، بَعْدَ أَنْ حَكَّتْ لِي الْجَدَّةُ
عَنْ طِفُولَتِهَا فِي أَرْجَائِهَا، وَكَيْفَ أَنَّ
دُورَانَ بِيوتِهَا كَانَ يَجْعَلُ الطَّوَاقِي الَّتِي
يَعْتَمِرُهَا أَهْلِهَا
تَضِيءُ لَهُمْ سُبُلَهُمْ فِي اللَّيَالِي الْحَالِكَةِ، وَيُمْكِنُ
دَجَاجَاتِهَا
مَنْ أَنْ تُفَوِّقَ بِالْعَدِيدِ
مِنَ اللُّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ.
وَفِي لَيْلَةٍ بَعِيدَةٍ، كُنْتُ قَدْ فَكَّرْتُ طَوِيلًا

في تلك العجائب، ثمَّ أطلتُ من نافذة، فرأيتُ

دمعة جميلة

في عين اليفة.

تلك كانت عينُ الجدّة. لقد أُغمِضتْ

منذ سنوات. لكن، أكيدٌ أنّها الآن

تجوسُ في غابات

وفي قُرَى عجيبات

وتتبعُ مُغامرات

تقوم بها جنّياتٌ في حكايات

يغذُّ السَّيرُ في المرآة

يا لتوتّر حاملِ المظلّة الشّاحِبِ القادِمِ بسرعة.
إنّه يحثُّ الخطى في اتّجاهِ رجلٍ طويلٍ ومُحتقِنِ الوجنتين،
واقفٍ أمامِ مرآةٍ، شبه نائمٍ، ويُدخّن.
حاملُ المظلّة يزيّدُ من سرعته ويتذكّرُ المرأة
التي كانت عشيقةً محتقِنِ الوجنتين:
إنّها مَاشَا الجميلة التي غرقت في ذلك البلد البعيد
وهي الآن قابعة ولا شكّ في قعر نهر الفولغا.
ويدندن الرّجل الطّويل مُحتقِنُ الوجنتين
بقصيدة كان قد كتبها عن موت عشيقتِه الرّوسيّة.
إنّه واقف أمامِ مرآة الحّمّام، في بيته بكازبلانكا
يُدخّن ويحلق ذقنه، ويرنو
إلى حاملِ المظلّة الذي يغذُّ السَّير نحوهُ في المرآة
والذي لم يكن إلا هو نفسه، قادمًا

نحو نفيسه

من شتاءِ روسي قديم!

في هذه اللحظة بالضبط

في هذه اللحظة بالضبط، حسبُ أني متّ

لكنّ روحي

التي، منذ دقائق،

غادرت، حقّاً، جسدي

لَمْ تلتحقِ بالسّماء، بل إنّها صعدتْ

إلى قِمة النّخلة

التي أراها من نافذتي!

انزلي، أيتها الرّوح القلقة،

انزلي فوراً

وَعُودي إلى حيثُ كنتِ!

هكذا تحدّثتُ إليها، ثمّ أضفت:

هيا،

كفاكِ عبثاً!

أفكر بطريقة سرّية

رغم النظرات المشجّعة التي
تكيلها لي عيونُ النّبذ كلّ مساء
والكلامِ الجميلِ الذي
تحمله إليّ رسائل الأصدقاء
فحياتي أضحّت تُضجُرني
أطلّ من نافذة
فأسمع أصواتاً خافتة وأقول
لنفسي: لعلّها أنفاس
الشجرة اليافعة التي تغفو
جنب باب الحديقة
ثمّ تبهرُ عينيّ التماعات تتوالى

هنالك في البعيد فأفكر:
ربّما هذه الومضات
تصدر عن الكاميرا التي
يلتقطُ بها جاري النهرُ صوراً
لعشيقاته المُتهاديات
تحت رذاذ المطر
أَرَاهُنَّ الآن من نافذتي وأبدأ في عَدَّهنَّ
هكذا من دون هدف
ثمَّ أقول في سِرِّي: هذا النهر
دون جوان حقيقيّ
أقول ما أقول وأفكر
بطريقة سِرِّيّة تماماً
لأجعل من حياتي صديقةً
ساحرةً قَدَمَها من مرجان
ولها رموشُ الكمنجات
هذا ضروريّ لئلا تنقذف سِهام

من سُررِ الكراكي التي تحلّق

الآن فوق رأسي

فيتفتّق جلدُ هذي الصبيحة ولا

يبقى لي سوى

أن أرفوه

بِعُرُوقي!

فهرس

"عيون طالما سافرت"

- 69 يَغْمَسُونَ رَأْسَ الْمَهْرَجِ
- 71 قُبَيْلَ الْغُرُوبِ
- 73 بَحْرَ أَسْوَدَ
- 74 أَسْلَافَ
- 76 لَا يُخِيفُنِي إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ
- 78 نُنْزِلُ قَرْمِيداً مِنَ الْعَرَبَةِ
- 81 أَعَزُّ عَلَى هَرْمُونِيكَ خِيَالِيَّةٌ
- 85 أَسْعَدُ مِنْ قَعْرِ بَعِيدٍ
- 87 قَدَمٌ مَنَسِيَّةٌ
- 88 أَنَا الْآنَ
- 90 يَوْمَ جُنْتُ
- 92 يَا مُقَشَّرَةَ الدَّهَانِ

95 حميميّة
97 شؤون عائليّة
99 بِذِرَاعِيّ اللَّتَيْنِ طَالَمَا ...
101 سأسحبُ من دخانها وأنفث
103 شمسٌ صغيرة
105 وأصبحتُ سيّد السّاهرين
107 وجهك يا غريبة
109 المُعلّمة تُزيّنُ بدلتها
110 خُطوات
111 أتهيأ للإبحار
112 غريبٌ أمرٌ هذا الحقل ...
113 قَريِر العين
114 حانة
116 خِرفان الليل
117 عَامِلُ الكَهْرَبَاءِ ذَاكَ وَزَوْجَتُهُ
119 أهذه هي الغرفة؟

121	الجسرُ الساخنُ ظهره
123	كنتُ للتوّ قد وصلت
125	كان يمكنكما أن تُشكّلا زوجاً رياضياً
127	وأنتِ بلباس البحر
129	غريبٌ في تلك المدينة
132	رموز للصيرورة
134	له ذاكرةٌ حيّة
136	يتمشّى على رمل قديم
138	العابرة
140	بسبب أوراق ميّنة
142	كنتُ وقتها جالساً فوق صخرة
144	غرفة ضيّقة
146	كوميديا سوداء
148	نبذة ممّا جرى لِميرو
150	حُلفاء
152	الماضي والحاضر

154 عَيْن
156 يَغْذُ السَّيْرَ فِي الْمَرَاة
158 فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ بِالضَّبْطِ
159 أَفْكَرَ بِطَرِيقَةٍ سَرِّيَّة

لتحميل أيّ من مجموعات مبارك وساط، أو أيّ من إصدارات "منشورات جبر" عامّة، انقر(ي) على الرابط التالي:

[إصدارات "منشورات جبر"](#)

عن مبارك وساط

- شاعر مغربي، وُلِد في 16 - 10 - 1955. درّس الفلسفة حتّى نهاية 2005.

صدر له، في مجال الشُّعر:

- على دَرَج المياه العميقة (طبعة أولى: دار توبقال، الدّار البيضاء، 1990 - طبعة ثانية: منشورات عكاظ، الرباط، 2001 - طبعة ثالثة، رقميّة: منشورات جبر، 2020)،
- مَحْفوفًا بأرخبيلات... (طبعة أولى: منشورات عكاظ، 2001 - طبعة ثانية، رقميّة: منشورات جبر، 2020)،
- راية الهواء (طبعة أولى: منشورات عكاظ، 2001 - طبعة ثانية، رقميّة: منشورات جبر، 2020)
- فراشة من هيدروجين (دار النّهضة العربيّة، بيروت، 2008 - طبعة ثانية، رقميّة: منشورات جبر، 2020)

- رجلٌ يبتسم للعصافير (منشورات الجمل، بيروت-بغداد، 2011- طبعة ثانية،
رقميّة: منشورات جبر، 2020)

- عيونٌ طالما سافرت (منشورات بيت الشعر في المغرب، 2017)

- أنطولوجيا شخصية (طبعة رقميّة، منشورات جبر، 2020)

في 2010، كانت قد صدرت له مجموعة شعرية فرنسية-عربية، عن
منشورات المنار بباريس، تحت عنوان:

Un éclair dans une forêt

وفي 2018، حصل على جائزة سركون بولص للشعر وترجمة الشعر في
دورتها الأولى.

في مجال الترجمة، صدر له:

شذراتٌ من سفر تكوين منسيّ، لعبد اللطيف اللعبي (منشورات الموجة،
الرّباط، 2004)

نادجا لأندري بریتون (منشورات الجمل، بيروت-بغداد، 2012)

التحوّل لفرانتس كافكا (2014)

الأبدية تبحث عن ساعة يد، لأندري بریتون (منشورات الجمل، 2018).

سؤال شمس من أهدابك، مختارات من شعر جمال الدين بن شيخ

(منشورات جبر، 2020)- كتاب رقمي.

دَمِي الَّذِي يَرشُو اليَاسَ، مَخْتارات مِن شِعْر مُحَمَّد خَير الدِين ونَثْرهُ
(مَنشورات جِبر، 2020)- كِتاب رَقْمِيّ.

لِتَحْميل أَيّ مِن مَجْموعات م. وِساط الشَّعْرِيَّة، انقُرْ (ي) عَلى رابِط
صَفْحة التَحْميل التالِيَة :

- تَحْميل مَجْموعات م. وِساط -

ولِتَحْميل أَيّ مِن إِصدارات "مَنشورات جِبر" عَلى العَموم، انقُر
عَلى الرابِط التالِي :

- إِصدارات "مَنشورات جِبر" -

مبارك
وساكن

ستّ مجموعات
شعرية

الجزء الثاني، والأخير، ويتضمّن:

* رجل يبتسم للعصافير

- القسم الأول: أحقن عروق الكراجه بالنيكوتين
* مثلما سيرة *

- القسم الثاني: تربية عاصفة

* عيون كالمسافرة

2021

منشورات حبر

